جريمة العصر..؟!!

قصة احتلال المسجد الحرام

رواية شاهد عيان

دكتور

عبد العظيم ابراهيم محمد المطعني

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة ت : ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الثانية

الطبعة الأولى لمكتبة وهبة

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م



إهداء

أهدى هذا الكتاب

إلـــى حــــراس الحـــق وجنــــــوده
إلـــى الأرواح الطاهـــرة الخضــــراء
إلـــى وعى التاريخ الخـــالد الأميـــــن
إلـــى مشاعر المؤمنين فى كل مكـــان

المؤلف

البلد الطيب الأمين. مكة المكرمة فى ربيع الأول سنة ١٤٠٠هـ
يناير سنة ١٩٨٠م





مقدمة

كان من المقرر أن أصل إلى مكة المكرمة قبل نهاية شهر شوال من العام الهجرى ١٣٩٩هـ. أى قبل موسم الحج بزمن ليس بالقصير .. ولكن تجمعت عوامل تبدو ضعيفة حالت دون السفر إلى ذلك البلد العظيم. ولا جرم فإن العوامل الضعيفة إذا "تجمعت" كان لها من قوة الأثر ما ليس للعامل الواحد القوى. وكان وراء هذا كله قدر حكيم يرى مالا نراه نحن البشر مهما أصابنا من غرور الفهم وبعد النظر. فإن "ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن " والذى شاءه الله أن أصل إلى مطار جدة فى الساعة الثالثة وخمس وعشرين دقيقة بتوقيت " السعودية "، أو الثانية وخمس وعشرين دقيقة بتوقيت القاهرة بعد ظهر يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر ذى الحجة ١٣٩٩ هـ، الموافق الثالث عشر من نوفمبر سنة ١٩٧٩ م. وقد أبصرت ونحن نقف فى "طابور " إنهاء إجراءات الوصول بمطار جدة. أبصرت أخا يقف بجوارى وهو يرتدى " ملابس الإحرام "، فأدركت أنه يقصد مكة المكرمة كما أقصدها. وقلت فى نفسى إنه نعم الرفيق. وصارحته بمشاعرى فرحب بالرفقة ترحيبا كريما وركبنا فى " سيارة " واحدة فى طريقنا إلى البلد الأمين "مكة المكرمة" التى تهوى إليها أفئدة الملايين من المسلمين فى كل موسم حج أو عمرة.

بدأنا السير فى الساعة الرابعة والنصف، وكنا حتى هذه اللحظة لم يتعرف كل منا على الآخر. من هو وما المقصود من القدوم ..؟

وحين تم ذلك التعرف بدا لنا معا أن كلا منا كان يبحث عن الآخر ويريد التعرف " الوثيق " عليه.؟

ومن حكمة القدر الحكيم أن مهمته كانت مهمة علمية. فهو أستاذ زائر لكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة بقسم الدعوة فيها.

وكانت مهمتى أننى " معار " لنفس الكلية بنفس الجامعة لقسم اللغة العربية بها ..؟ وكلانا مصريان أزهريان ..

هذا التدبير الحكيم ذكرنى بقول الشاعر:

قد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

* * *

وقبل الوصل إلى البلد الأمين سألنى رفيقى الأستاذ الدكتور/ حسن الشافعى "دار العلوم": أتقصد مكانا معينا بمكة تنزل فيه؟

قلت: لا مكان معينا عندى.

قال: إننى أعرف بعض "الإخوة" من مصر يعمل مديراً لفندق. فإذا أحببت نزلنا فيه معاً. واستطرد: أن اتصالا تليفونياً تم من القاهرة بالمدير المذكور لهذا الغرض.

رحبت بالفكرة وكنا فى الساعة الخامسة والنصف تقريباً قد وصلنا إلى جوار المسجد الحرام بمآذنه " العملاقة " وأضوائه "الساطعة " وبنائه الشامخ الحصين.

* * *

استقبلنا مدير الفندق بروح طيبة ولم ننه معه الحديث وإذا بأذان المغرب يدوى من مآذن المسجد الحرام السبع أنه صوت جليل مهيب يملأ ربوع الكون جلالا وهيبة فلبينا النداء. ذلك النداء الخالد وولينا وجوهنا شطر " المسجد الحرام " وشققنا طريقنا إليه بشق الأنفس، فالمسلمون الذين يصلون "خارج الحرم" فى رحباته المتصلة به. وما أوسعها وأطولها لايحصون عدداً. فما بالك بمن يصلون بداخله. الله وحده يشهد أن " الواحد " منا كاد يسجد على ظهر أخيه. فياله من مشهد رائع وعظيم. ويا لها من دعوة، تلك الدعوة التى دعاها الله إبراهيم.

﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾. (إبراهيم: ٣٧)

إبراهيم – عليه السلام – له فى هذا النداء: عمل، وإرادة، ومطلب:

فالعمل: هو إسكانه من ذريته، أى بعض ذريته – بواد قفر لا ماء فيه ولا زرع عند بيت الله الحرام.

والإرادة: ليقيم ذلك " البعض من ذريته " الصلاة لله.

والمطلب: أن يجمع الله قلوب الناس حول ذريته، وأن يرزق الجميع من الثمرات.

دعا كريما معطاء فاستجاب له بأسمى ما يكون العطاء. عطاء متجدداً تجدد الحياة نفسها حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

* * *

قضينا الليلة معاً بالفندق فى غرفة واحدة .. ثم ذهبنا معاً إلى الجامعة صباح اليوم التالى، وقدم كل منا لعميد الكلية .. " أوراق اعتماده " وذهب

صديقى إلى قسم الدعوة، وذهبت إلى قسم اللغة العربية وافترقنا فى طريق العودة. فوصلت إلى الفندق قبله .. وفى الساعة الثانية بعد الظهر من نفس اليوم. (الأربعاء ٢٣ ذى الحجة) وصل صديقى إلى الغرفة، واستأذن فى استحياء بالانصراف من الفندق لأن الجامعة أعدت له " منزلا " بدار الضيافة التى يقيم بها الأساتذة الزائرون لمدد قصيرة.

ويشهد الله أنها كانت من أقسى المواقف التى أحزنت مشاعرى لألم الفراق، ولكنى سترت ذلك كله مودعاً له وداع أخ لأخ وراجيا لى وله كمال التوفيق فيما جئنا من أجله.

بقيت فى الغرفة وحيداً .. ولم يكن معى بالفندق كله سوى أسرتين من بقايا ضيوف الرحمن "الحجاج" الذين كانوا يقيمون بالفندق أسرة مغربية من أخوين وأم وابن خالة، وأسرة باكستانية من أخوين وأخت وأم. ثم مدير الفندق ومساعده .. الأسرة المغربية تقيم فى الدور الثانى من الفندق، والأسرة الباكستانية تقيم فى دور أرضى جانبى ملحق بالفندق. وأما الغرفة التى كنت أقيم بها فهى بالدور الخامس. ولها نافذتان تطلان على الحرم الشريف من ناحية باب الوداع. بل إن النظر من إحدى نافذتيها يريك الحرم كله، إذ لا يفصل بين الفندق وبين الحرم إلا شارع لا تزيد مساحته عرضاً على مائة متر تقريباً أو لعلها أقل.

جوار ممتع

وجدت فى هذا الجوار الكريم لبيت الله الحرم متعة روحية ليست لها حدود. فكانت عزاء جميلاً لى وأنستنى مشاق الغربة والوحدة وحرصت

على أداء الصلوات الخمس فيه فجراً، وظهراً، وعصراً، ومغرباً، وعشاء. واستمر هذا السلوك ستة أيام كاملة من الأربعاء ٢٣ ذى الحجة إلى الاثنين ٢٩ من نفس الشهر. وهو آخر يوم فى العـــام الهجـــرى ١٣٩٩ هــــ. إلا خمسة أوقات أدركتنى وأنا فى مناطق بعيدة عن الحرم، وهى محصورة فى العصر والمغرب.

* * *

الرؤيا .. حقيقة

وقبل وقوع الاعتداء بيومين، – رأيت – والله وحده على مـــا أقـــول شهيد – رأيت رؤيا منامية لها دلالة عجيبة. ورمـــوز ناطقـــة خلاصـــتها: (أننى كنت أتأهب للسفر ومعى صحبة لا أعرف منهم أحداً وإذا بنا نـــرى طائرة خضراء فوق الحرم الشريف تسير فى الجو مضطربة لدرجة أنهـــا انقلبت وهى فى الفضاء وإذا بى أسمع من يقول: دعنا من الســـفر لنرجـــع إلى أهلنا سالمين، ولم يكد القائل يفـــرغ مـــن مقالتـــه تلـــك إلا والطـــائرة الخضراء تعتدل وتسير سيراً آمنا، وكأن شيئاً لم يحدث لها قط. ووجـــدتنى بعدها أنظر إلى "مسجد" ليس به سقف، وكنت قد تركت مشكلة مسجد فـــى القاهرة تعرض لاعتداءات مريبة من بعض الطامعين وكانت تلك المشـــكلة تسيطر على كل تفكيرى وأنا بمكة المكرمة فخيل إلىّ فى الرؤيا أن المسجد المزال سقفه هو الذى أفكر فيه، وشق على نفسى أن يعطل هذا المسجد فلا تقام فيه صلاة الجمعة بالذات، وأبصرت فيه بعض العاملين فقلـــت لهـــم: أحضروا قماشاً وأسقفوا به – المسجد بسرعة لأننا سنؤدى صلاة الجمعـــة

فيه. ورد على أحد العاملين قائلاً: ليس هذا فى مقدرتنا ولكنه فــى مقــدرة أولئك الرجال هم سيقومون به. فنظرت إلى الرجال الــذين أشــار إلــيهم محدثى فوجدتهم مجهزين للعمل المطلوب فوقع فى نفسى سرور عظيم ثــم انتبهت من النوم لتوى .. ولم أدر قط سر الرموز فى هذه الرؤيا العــابرة. ولكن سير الأحداث بعدها كان أصدق ترجمة وإيضاحاً لرؤيا وقعت لجــار من جيران بيت الله الأمين.

وقصة لها دلالــــة

وفى ليلة الثلاثاء غرة شهر المحرم للعام الهجرى ١٤٠٠ حدث ما لم أفهمه حال حدوثه. ولم أفهمه بعد حدوثه حتى بعد وقوع الاعتــداء علــى الحرم الشريف، ولكن حدوث ما حدث كان يقظة ولم يكن منامــاً. وهأنــذا أوجزه كما رأيته.

فى المسجد الحرام يؤذن لصلاة الصبح مرتين بين المــرة الأولــى والثانية ستون دقيقة تقريباً.

الأذان الأول قبل الفجر لإيقاظ الناس واستعدادهم للصــلاة والثــانى للإعلام بدخول الوقت، وهذا سلوك إسلامى مطلوب فى صلاة الفجر، لأنها الصلاة الوحيدة التى يستيقظ لها الناس من النوم.

فى هذه الليلة أيقظنى من النوم صوت امرأة تتحدث حــديثاً متتابعــاً مسروداً سرداً، ولكنه بلغة لاأفهمها. وكان صوت المــرأة مســموعاً لــى بوضوح شأنه شأن أى صوت يقع فى سكون الليل، واستمر حــديثها بــلا انقطاع حتى بعد الأذان الأول وإلى قبيل الأذان الثانى ولعله استمر حتــى

الأذان الثانى. أصغيت قبل نزولى إلى المسجد الحرام إلى ذلــك الصــوت المتتابع الذى لم يتخلله انقطاع كأنه صوت حاكى جيد الصنع، وكنت فــى شوق إلى رؤية مصدره .. لأنى أدركت أن المتحدث لــيس هنــاك ســامع يسمعه وإلا لتغير النهج المسترسل الذى جرى عليه الحديث ولم يسعنى إلا أن نهضت من فراشى ثم توضأت ووليت وجهى شطر المســجد الحــرام. وكان هذا قبل الأذان الثانى بنصف ساعة يقيناً وبعد خروجى مــن بــاب " الفندق " مباشرة وجدت المرأة التى تتحدث تجلس على الرصيف الفاصــل للشارع الذى يقع بين الفندق والحرم تجاه باب الوداع.

وكانت تصوب نظرها إلى المئذنتين اللتين بجوار باب الملــك عبــد العزيز. إن هيئة جلسة المرأة، وهى إحدى الحاجات إلى بيت الله الحــرام. كانت مواربة تجاه تينك المئذنتين، لأن الجالس تجاه باب الوداع لكى يــرى المئذنتين المشار إليهما لابد من تعديل فى جلسته وإلا لــم يرهمــا. ولهــذا واربت المرأة جلستها كما تقدم وصدق ما ظننته قبل أن أراها. فلــم يكــن أمامها سامع تتحدث إليه.

فهى تجلس وحيدة على الهيئة التى أشرت إليها قريباً. وكــان يقــف على شمالها أحد الحجاج منحرفاً فى وقوفه إلى الوراء، المرأة لم تره لأنــه بعيد عن دائرة إبصارها، وهو صامت لا يتكلم .. ومــن يــدرى .. لعلــه أدهشه من أمرها ما أدهشنى .. ولست أدرى إن كان يفهم لغة حديثها أم لم يسمع منها إلا جرس الصوت وهو عن المعــانى بمنــأى. فمــا ســر ذاك الحديث يا ترى العلم لله وحده .. على أننى سأعود لربط هذه الواقعة بمــا يناسبها من الأحداث الآتية .. ولكن على سبيل الظن لا اليقين.

* * *

دخلت المسجد الحرام، وطفت حول الكعبة مع الطائفين سبع طوفات. وفرغت من الطواف مع الأذان الثانى، وكان المسجد الحرام قد اكتظ بقاصديه. حتى لم يكن فيه موضع إلا وفيه راكع أو ساجد، أو جالس فى انتظار الصلاة. ولهذا فقد أديت ركعتى الفجر وركعتى الطواف بجوار الكعبة لم يكن بينى وبينها إلا ثلاثة صفوف من الجالسين فى انتظار الصلاة. وحين أقيمت صلاة الصبح نهض الناس قياماً. فأبصرت رجلين من الصف الذى أمامنا مباشرة يلتفتان معاً إلى الخلف، وينظران إلى الدور الثانى الذى يلى صحن الحرم الشريف مباشرة واستجابة لحب "الاستطلاع" التفت ونظرت إلى نفس المكان الذى ينظران إليه. فلم أر شيئاً يسترعى الانتباه .. فعلام إذن كان يلتفت هذان الرجلان .. خاطرة مرت سريعة ما كنت أظن، ولاأحد غيرى كان يظن أن هذه الالتفاتة نذير بخطر جسيم وسيقع بعد حين .. ؟

انتظم الجميع فى صلاة جامعة، وكان المسجد الحرام بصحنه الفسيح، وأدواره الواسعة، ومقصوراته وساحاته وملحقاته من الخارج، كل هذه الأماكن مزدحمة بالمصلين من الرجال والنساء بملابسهن الإسلامية البيضاء. فكلهن لا ترى منهن إلا الوجه والكفين. وكن يصلين فى المقصورات الخلفية بعيداً عن صفوف الرجال. مشهد رائع وجميل يملأ النفس ثقة بأن الإسلام بخير. وأن لله عباداً قد اصطفاهم لطاعته. وأن الله لن يخيب أمة هذا شأن بعض رجالها ونسائها المؤمنين والمؤمنات. وكان عددهم لا يقل عن نصف المليون قام الإمام فقاموا. وكبر فكبروا. وقرأ فأنصتوا. وليعذرنى القارئ الكريم إذا قلت أن كل شيء وقع فى ذلك الصباح كان موحياً، دليل ذلك أن الإمام قرأ فى الركعتين بعد "أم الكتاب"

الآيات الأواخر من سورة التوبة. والذى أعيه الآن ما قرأه فى الركعة الثانية وهو قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾. (التوبة: ١٢٢ : ١٢٩)

تأمل أخى المسلم تلك العبارات من الأمر بقتال الكفار الذين يلون المؤمنين المأمورين بقتالهم، والمعتدون فى تلك اللحظة كانوا يلون المؤمنين بل مختلطين بهم. ثم تأمل قوله تعالى: ﴿ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ والإشارة إلى زيادة الرجس وأنهم يموتون كافرين، ثم الإشارة إلى وقوع الفتنة فى العام مرة أو مرتين، وأن المفتونين لا يتوبون ولا يذكرون ... ؟!

وقف ملياً أمام قوله تعالى: ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ ؟ أن هذه الحال لمنطبقة تماماً على أولئك " البغاة " الذين تسللوا إلى بيت الله الحرام ولا يختلف أحد فى أنهم كانوا ينظرون بعضهم إلى بعض خشية أن يراهم أحد، أو يكشف خطتهم، فاللص دائماً حذر ووجل..؟

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ وأقبح العنت هو الــذى وقع من أولئك " البغاة " ثم تأمل جيداً تلك الآيات المقــروءة فــى الركعــة الأخيرة من صباح الاعتداء الفظيع ورفع الأمر لله فى قوله تعالى: ﴿ فَــإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لاَ إِلَه إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾..؟

لقد كان امام الصلاة فى ذلك اليوم نائباً عن الأمة بأسرها فى رفــع الأمر مما "سيحدث " لله رب العرش العظيم كان نائباً، وهو لا يدرى، ولكن حكمة القدر أنطقته بتلك الآيات الحكيمات. ونصف مليون مــن عبــاد الله المؤمنين يسمعون ويؤمنون. والله – وحده – من فوقهم يعلم ما سيكون.

الفتنة تطل برأسها

سلم الإمام وخرج من الصلاة، وسلم المسلمون وخرجوا من الصلاة. كل جالس فى مكانه يستغفر الله ويتوب إليه، ويستعد لختم الصلاة بالتسبيح والتحميد والتكبير، وأشهد – والله شهيدٍ على مــا أقــول– أن أحــداً مــن المصلين لم يتم ما هم به من الخروج من الصلاة حتى سمع الجميع صوت جسيم ثقيل يرتطم بالأرض، وبالنسبة للمكان الذى كنت أجلــس فيــه فقــد سمعت الصوت من خلفى وهو نفس المكان الذى قلــت قــبلاً أن بعــض الواقفين فى الصف الذى أمامى كانوا ينظرون إليه قبــل إقامــة الصــلاة. وبالتأكيد فقد أدركت أن ذلك الصوت قد انزاح مصدره عن مكانه الذى هو فيه بفعل فاعل فهوى على الأرض. ولكن حتى هذه اللحظة لم يكــن فــى حسبان أحد منا أن حادثاً خطيراً سيقع بعد قليل، وأن ذلك الصوت إنما هو بدايته وهذا المكان هو الذى يقف فيه إمام الصلاة وخطيب الجمعــة وبــه

مكبرات الصوت. لم أكترث لما حدث، كما لم يكترث غيرى، واستمررت فى ختم الصلاة. وعلى ما أذكر كنت قد فرغت من التسبيح. وبدأت فى التحميد. وفوجئت بطلق نارى يدوى خلفى فوقف الناس، ووقفت، ونظرت إلى المكان الذى دوى فيه الطلق النارى الرهيب: أنار تطلق فى بيت الله الحرام الأمن.؟ علامات استفهام لحوحة أخذت تدور فى ذهنى، وبينما أنا واقف أنظر إلى نفس المكان، وكل المصلين واقفون ينظرون مثلى. إذا بى أرى رجلا فى ربيع العمر يتزى بالزى العربى الخالص (جلباب أبيض، وغترة على الرأس، وعقال أسود فى أعلى الرأس) وقد علق على كتفه الأيمن بندقية، رأيته يروح ويجىء أماماً وخلفاً، فى حركات هيستيرية، ويهتز كما يهتز العصفور الذى بلله المطر كما يقول الشاعر الوله، ثم يشير بيده اليمنى طالباً من الناس أن يجلسوا – هكذا فهمت من إشارته – ثم بدأ يقول: الله أكبر. وأخذ بعض المصلين يكبرون معه، هو يبدأ وهم يجيبون، كان المكبرون قلة فى البداية. ثم ازدادوا بعد قليل وليس عندى شك فى أن الذين أسرعوا بترديد التكبير وراءه إنما هِمِ من العصابة التى ما دخلت بيت الله للعبادة، كما دخل المصلون الغافلون. أما الذين انساقوا فى ترديد التكبير فإن معظمهم من الحجاج المسلمين غير العرب (باكستانيون وهنود – ايرانيون – أتراك) ومع التكبير أخذت طلقات الرصاص تتزايد. وأخذ الناس يتساءلون عن السبب فى كل ما يحدث. وكانوا لا يعدمون جواباً على تساؤلاتهم. وقد انحصر الجواب كما رأيت فى أن السبب إنما هو الاحتفال بالعام الهجرى الجديد ..؟) لا تنس أخى القارئ أن الاعتداء قد وقع فى فجر أول المحرم ١٤٠٠ هـ) .. ؟

سمعت هذا الجواب مرات رداً على تساؤلات الناس. أما أنا فلم أسأل أحداً. وكذلك فإن هذا الجواب لم يقنعني قط. وظل الأمر في نفسي لغزاً مبهماً. وألهمني الله أن أبدأ بالخروج من المسجد الحرام. فحملت خفي وأخذت أشق طريقي من الكعبة الشريفة حيث كنت أصلي ملاصقاً لها، إلى باب الوداع الذي تعودت الدخول والخروج منه لقربه من الفندق الذي أقيم فيه. كانت الساعة في حدود الخامسة والنصف من فجر المحرم ١٤٠٠ هـ، وهو أول أيام العام الهجري المكمل للقرن الرابع عشر.

الأبواب مغلقة

وحين اقتربت من الباب (باب الوداع) وجدته مغلقاً. ووجدت الناس الذين هموا بالخروج قبلي يعودون. فالتفت ناحية بقية الأبواب التي أمكن رؤيتها من المكان الذي أنا فيه فوجدتها مغلقة كذلك. ومن هم بالخروج يعود. في هذه اللحظة كنت قد جاوزت صحن الحرم الشريف ودخلت في المقصورات المسقوفة التي تعلو أرضيتها على أرضية الصحن الشريف. وكان معظم المصلين في هذه المقصورات من النساء إذ يحتللن مسافات واسعة، فيها وخاصة في المناطق الممتدة بين أبواب الوداع وأم هانئ والهجرة وأبي بكر. وما كدت أخطو فيها الخطوات الأولى حتى انهال الرصاص فوق رءوسنا من جوانب متعددة. ولعل المقصود من إطلاق الرصاص هو إرهابنا ومنعنا من الخروج. وقد تأكد لي هذا المعنى فيما بعد.

والرصاص فوق الرءوس

فماذا يصنع النـــاس ...؟ ومـــاذا أصـــنع. الأبـــواب مغلقـــة تمامـــاً والرصاص يتهاوى فى رءوسنا. مأزق حرج لا مخـــرج منـــه إلا بتـــدبير الحكيم. وإزاء هذه الظروف الصعبة امتثل بعـــض مـــن أرادوا الخـــروج فعادوا إلى الداخل. أما كاتب هذه المذكرات فقد أحس فى نفسه قـــوة علـــى إرادة الخروج لم أذكر أننى اتخذت فى موقف من المواقف قـــراراً حاســـماً مثلما اتخذته فى هذه اللحظة. وكانت الأحداث تتصاعد بشكل رهيب. وأين فى بيت الله الحرام الأمين ..

لم يمنعنى إغلاق الأبواب، ولا تطاير الرصاص فوقنا من السير نحو باب الوداع الذى دخلت منه. ووجدتنى أخطو فى ثقة وأنا أردد قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ... ﴾ (التوبة: ٥١) أخـــذت أردد هـــذه الآية الحكيمة الشجاعة. وليصدقنى القارئ أننى لم يكن لـــى تـــدبير فـــى اختيارها ولا ترديدها. فقد كانت النفس فى ذهول مما يجرى داخل بيت الله الآمن فى البلد الأمين ..

وتسألنى بعض " الحاجات " عن سبب مايحدث فأرانى أقـــول لهـــا: يقولون بأنه احتفال بالعام الهجرى الجديد، ثم أخطو نحو الباب فلما وصلت إذا بى أجد رجلين كل منهما يحمل خفيه بيـــده، ويمســـكهما بكلتـــا يديـــه ويضعهما على ظهره. يريدان أن يخرجا .. ولكن كيف والبـــاب أمامهمـــا مغلق وعليه حراس غلاظ شداد ..؟!

خروج .. ودخول

وقفت بجوارهما لعل الله يحدث أمراً. ولم يطل وقوفنا فقد فتح الباب لإدخال بعض الأفراد يحتمل أن يكونوا من أفراد (البغاة) المعتدين، ويحتمل أن يكونوا من المصلين الذين أدوا الصلاة برحبات المسجد الخارجية لشدة ازدحام المسجد بقاصديه، وإذا صح هذا الاحتمال الثانى فإن الدافع لهم على الدخول هو حب الاستطلاع حول ما يدور داخل المسجد. أو لأن لهـؤلاء الداخلين أقداراً لابد أن تنفذ فى حلبة الصراع الملتهب الذى أشعلت أولـى فتائله حتى هذه اللحظة، ولما ينكشف على حقيقتـه إلا بعـد دقـائق مـن دخولهم..؟!

ولا يعلم أحد إلا الله وحده ما حدث لهؤلاء الذين كانوا طلقاء فـألقوا بأيديهم إلى غمار الفتنة، التى أخذ فيها البرىء بإثم المجرم .. فقـد يكـون منهم من أصيب. وقد يكون منهم من تعرض لرصاص "البغاة" فسال دمـه وقضى من الحياة نحبه .. لقد ساروا إلى غمار الفتنة بأقدامهم سعياً حـراً. وكان لسان حالهم يردد قول الشاعر:

إلى حتفى سعى قدمى　　　أرى قدمى أراق دمى ..؟!

مساكين هؤلاء. فقد ظلمهم بغاة المعتدين .. ولكن الله لـن يظلمهـم. فقتل نفس واحدة ظلماً، إنما هو فى شريعة الله بمثابة قتل الناس جميعـاً .. فما بالك بقتل النفس فى أقدس مكان ..؟

ولندع هؤلاء الداخلين. فعلمهم عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى. فبعد أن فرغوا من دخولهم، وكان الباب مفتوحاً بحذر شديد بحيث لايسمح إلا لمرور شخص واحد، داخلاً أو خارجاً تسلل أحد الرجلين الواقفين من الداخل وخرج، وأسرع الثانى بالخروج مثله فخرج. وجاء دورى فهممت من شق الباب بالخروج وكنت أتوقع أننى سأمنع، وإذا أصررت فربما دفعت دفعاً عنيفاً إلى الداخل. وإذا أفلحت فى الخروج فقد تتبعنى رصاصة قاتلة لن تخطئ. ومع هذا فقد بدأت أخطو أولى الخطوات إلى الخارج. ولم يعترضنى أحد. وخطوت الثانية، والثالثة والرابعة حتى اختلطت بجموع هائلة من الذين أدوا صلاة الفجر برحبات المسجد الخارجية. وفوجئت بطلقات الرصاص تستأنف دويها فوقنا فعدت إلى الآية الحكيمة أرددها. ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ (التوبة: ٥١) ويستقبلنى المصلون بالخارج يسألوننى عن سر مايحدث بالداخل. ولعلهم أبصرونى وأنا خارج من المسجد. وكان أكثر السائلين من النساء الحاجات .. وكان جوابى هو ما ذكرته آنفاً " يقولون إنه احتفال بالعام الهجرى الجديد .. " ؟!

مراقبة عن كثب

لقد كانت الجموع المحتشدة خارج الحرم تفوق الحصر. فالناس لم يسمعوا قط صوت الرصاص ينطلق بل يدوى من الحرم الشريف إلا فى هذه اللحظة. وآثرت أن أجلس على إحدى المقاهى المجاورة لأننى شعرت

أنى فى حاجة إلى كوب شاى ساخن، وهــو مــالا ســبيل إليــه – الآن – بالفندق، ولأن أحببت أن أرقب عن كثب ما سوف يكون عليــه الأمــر .. وبعد دقائق انضم إلىّ رجل مصرى قدم من المدينة قبيل فجــر الأول مــن المحرم. وكان قد أدى صلاة الفجر بالمسجد الحرام وخــرج قبــل انــدلاع الفتنة المنكرة. جلس بجوارى، وكان " البغاة " قد بدأوا يخطبون فى النــاس بالداخل. وبواسطة مكبرات الصوت وتساءل معى عما يحدث، ولم يقتنــع مثلى بأن الذى يحدث هو احتفال بالعام الهجرى الجديد، ولايبعد – عزيزى القارئ – أن هذه الشائعة قد روجها البغاة المعتدون أنفسهم ليطمئن إلــيهم الناس ريثما يتحكمون هم فى الموقف، ويفرضون سيطرتهم علــى منطقــة الحرم من الداخل، وعلى المناطق المحيطة به حسبما ترجم عنــه الواقــع المسعور والخطط الموضوعة لأولئك البغاة المعتدين. فيما بعد ..؟

لم يكن بالمقهى أحد غيرنا، حتى العاملون فيها، وهم فتيان يمنيون قد هرعوا إلى هناك بعد أن قدموا لنا ما طلبناه .. استمعنا إلى بدايات خطبهم وكانت طلقات النار تنبعث إلى أسماعنا بين الحين والحين، مــع أصــوات الخطباء. وقد انتقدنا معاً طريقة القوم فى احتفالهم بالهجرة، على ما قيل – وقلنا ماأبعد الاحتفال بالهجرة عن هذه الطريقة. وكان يضعف عندى هــذا الاحتمال الظروف التى أحاطت بما حدث. وتساءلت مع رفيقى. إذا كان ما يحدث احتفالاً بالهجرة فلماذا لم يعلن عنه مقدماً .. أو حتــى فــى بدايــة الخطبة. وإذا تجاوزنا عن كل ذلك فما علاقة إطلاق الرصاص، وإغــلاق الأبواب بالاحتفال. وإرهاب من يحاول الخــروج مــن المســجد بــإطلاق الرصاص. ماعلاقة كل ذلك بالاحتفال بالعام الهجرى الجديد.؟

لهذه الأسباب استبعدنا أن يكون الذى يجـرى الآن داخـل المسـجد الحرم احتفالا رسمياً بالهجرة. أو حتى شبه رسمى، وظل الأمر لغزاً فـى مشاعرنا ونحن لا نكاد نصدق ما نسمع ونرى من أحداث غريبـة اختيـر بيت الله الحرام مسرحاً لها ..؟

خطباء الفتنة متعددون

كان الخطباء متعددين، ولم يكن خطيباً واحداً كما نشر فى الصـحف وردد فى وسائل الإعلام، لأن لهجاتهم كانت متفاوتة وضوحاً وغموضـاً. فبعضهم لم نفهم مما يقول شيئاً سوى جرس اللفظ. وقام فى النهاية أحـدهم يخطب بلسان فصيح، وكلمات واضحة مسموعة ويبدو أنه كان متمرناً على فن الخطابة، وقد أدركت ذلك من إلقائه المحترف. وقد أخذ هذا يكثر مـن ذكر قصة " المهدى المنتظر " ويسرد ما ورد فيها من آثار مقدماً لكل أثـر برقمه فكان يقول: الحديث الأول .. الحديث الثـانى، الحـديث الثالـث .. وهكذا.

كما كان يحرص على ذكر سند الأثر الذى يذكره، فيقول روى فلان عن فلان، ويذكر راوى الأثر .. وكان يعلق على كل أثر بالإشـارة إلـى درجته من القوة والضعف، وكثيراً ما كان تعليقه على الآثار منحصراً فـى هذه العبارة .. وهو حديث صحيح .. ؟! سمعت كـل ذلـك وأنـا جـالس بالمقهى المجاور. فوقع فى نفسى أن هؤلاء البغاة المعتدين هم جماعة مـن غلاة الشيعة انتهزوا فرصة هذا الجمع الحافل من الناس، والذى يمثل فيـه كل البلاد الإسلامية. بل والأقليات لترويج مبادئ شيعتهم .. ولم أكن أتوقع

أن الأمر سيعدو مجرد " مظاهرة إعلامية " لترويج تلك المبادئ، ثم تنفض ضحى اليوم أو عشيته. واكتفيت بهذا القدر من المشاهدة والمتابعة فعدت إلى الفندق بعد السادسة صباحاً. وفى طريقى إليه وجدت، سيارات النجدة التابعة للسلطات السعودية، وسيارات الإسعاف تملأ الميدان الفسيح الواقع أمام باب الملك عبد العزيز حتى مستشفى " جياد " وجموعاً هائلة من الناس يقفون فى ذهول مما يجرى داخل الحرم، وقد أخذتنى سنات من النوم حتى الساعة التاسعة صباحاً.

وفى هذا الوقت سمعت طرقاً على باب غرفتى ففتحت، إذا بالطارق شاب أزهرى مصرى نزل بالفندق بعدى بيومين، وأقام بالغرفة المجاورة، ولم أتعرف عليه إلا منذ ليلتين قبل وقوع الحادث الأليم. أيقظنى ليعلمنى بما يجرى فى الحرم، ولم يعلم أننى كنت " عكاشة " الذى سبقه بها. فاستمهلت الشاب الأزهرى ريثما أرتدى ملابس الخروج، وحدث بينما أنا أنظر من شرفة الغرفة إلى المسجد الحرام، أن أبصرت أحد " البغاة " يتجول وهو منحنى الظهر فى الطابق العلوى للمسجد الحرام، وكان يحمل سلاحه على كتفه " بندقية " وربما كان يحمل فى يده مسدساً. بدا لى وهو يتجول " حذراً " أنه أحد " القناصة " يبحث عن ضحية. فأغلقت باب النافذة ونزلت إلى الشارع الفاصل بين الحرم والفندق.

البغاة يقتلون الجنود

كان الناس يقفون ينظرون وقد ارتسمت على ملامح كل منهم علامات الدهشة. إنهم فى ذهول. وحدث أن اكتفت السلطات السعودية حتى

هذه اللحظة بالتحفظ على أبواب الحرم المغلقة. فأوقفت خلف كل باب طائفة من الجنود المسلحين. وبدأ البغاة يطلقون النار على كل " جندى يرونه " وكانوا لا يخطئون إذا رموا أحداً منهم بطلقات الرصاص. وقد أبصرنا سيارة " جيب " واقفة معطلة وعلمنا أن البغاة أطلقوا النار على قائدها وهو من الجنود فأردوه قتيلاً، كما أبصرنا بجوار السيارة جندياً قد أصيب فاستلقى على الأرض ولم يستطع إلا تحريك رجليه تحريكاً لا يسمن ولا يغنى من جوع. ولم يستطع أحد من " العسكريين " الاقتراب منه لإسعافه، لأن اقتراب جندى منه معناه إطلاق الرصاص عليه هو الآخر، لأن البغاة حتى هذه اللحظة كانوا قد فرضوا سيطرتهم الكاملة على "الحرم" والمناطق المحيطة به. وقد أكد هذا تصريح لبعض القادة العسكريين بثه التليفزيون السعودى فيما بعد.

ومن الصور الرائعة التى ما زلت أذكرها بتفاصيلها وأتخيلها كأنها تقع الآن أن بعضاً من الشباب " المدنى غير العسكرى " قد رقدوا على الأرض وزحفوا على بطونهم متسترين خلفِ السيارة الجيب المعطلة. حتى وصلوا إلى الجندى المصاب وحملوه وهم حذرون حتى وضعوه فى سيارة إسعاف انطلقت به إلى المستشفى. وآمل أن يكون ذلك "الجندى " بخير وعلى قيد الحياة. فالأمة فى حاجة إلى أمثاله. وإن كان لقى نحبه فما عند الله خير وأبقى.

وفى العاشرة من صباح يوم الاعتداء (الثلاثاء غرة المحرم ١٤٠٠هـ) وبعدها بقليل شاهدنا طائرة هليكوبتر تحلق فى الحرم ذهاباً وجيئة وعلمنا أنها تقوم بطلعات " استكشافية " لما هو موجود داخل الحرم الشريف من الناس الأبرياء الذين احتجزوا بداخله، وتستكشف مواضع

المعتدين وعتادهم. وعدتهم. كما سمعنا صوتاً مدوياً بدأ فى لحظة ثم اختفى فى سرعة البرق، وأنه ليخيل إليك أن ما بين بدئه وانتهائه لحظات طـــوالا مع أنه بدأ وانتهى .. الآن .. وما تزال آثاره تدوى فى أذنيك، وهذه خاصة من خواص أصوات " الطائرة الحربية " يصك سمعك وقد لاتستشعره تماماً إلا وقد انتهى مصدره. ومع أن الأزمة كانت فى ساعاتها الأولى فقـــد كنـــا نستبشر بتلك "الردود" المناسبة لهذه الجريمة البشعة. بل إن الكثير منا كان يأمل ألا يحين وقت صلاة الظهر إلا والمسجد الحرام عاد مفتوح الأبـــواب ليستقبل عشرات الآلاف من المصلين والعاكفين والركع السجود، ولم يـــدر فى خلد أحد أن الأزمة ستطول إلى ما استطالت إليه. إذ لم يعهـــد أحـــد أن يعطل المسجد الحرام يوماً أو بعض يوم. كما لم يعهد أحد أن تتوقف شمس الكون عن الإشراق فيه.؟

جولة قصيرة

وفى ضحى نفس اليوم فكرنا فى القيام بجولة قصيرة فـــى المنطقـــة المحيطة بالحرم الشريف. فوصلنا إلى ما بعد فندق أفريقيا .. ووجدنا جميع المحال توصد أبوابها ومنها ما أوصد بالفعل، ومنها من يبيع فـــى عجـــل متأهباً للإغلاق والانصراف، وقد ساءنا كثيراً أننا كنا نسمع بعض النـــاس يتحدث عن وجود "المهدى" فعلاً فى الحرم، وأنه يتلقى المبايعة من الناس، والذى ساءنا فى هذا أن الذين يتحدثون كانوا يعتقدون ما يقولـــون، بـــل إن شيخاً طاعناً فى السن وجه الكلام إلينا يخبرنا بوجود المهدى فى الحـــرم. وساءنا أكثر وأكثر أننا لم نجد الفرصة لإقناع هذا الرجل وأمثاله بأن هـــذا

الكلام الذى يقولونه إنما هو خرافة محضة. فكل شيء كـــان يجـــرى فـــى سرعة مذهلة. والناس يموجون بعضهم فى بعض. وفى مثل هـــذا " الجـــو النفسى " المضطرب يكون للإشاعة سلطان على النفوس، وأيما سلطان.

* * *

وفى هذه الأثناء، أثناء الجولة، رأينا القوات السعودية تضع المتاريس فى مداخل الشوارع الرئيسية المؤدية إلى ساحات الحرم الخارجية لمنـــع " السيارات" من المرور إليها. إكمالاً لخطة التحفظ على " الوضع " القـــائم، والتى أشرنا إليه من قبل. ولم يصحب هذا "التحفظ" أى رد إيجابى آخـــر، وقد كانت الشمس تكاد تتوسط " كبد " السماء وشاعت وسط هذا " الجـــو " شائعتان: إحداهما تقول إن المعتدين على الحرم الشريف هم من " أتبـــاع " الزعيم الإيرانى الخمينى. وكاد يقوى من جانب هذه الشائعة مـــا ســـبق أن أشرنا إليه من خطبة أحد البغاة حيث أكثر من الحديث عن المهدى، ودعوة الناس إلى مبايعته، بل كان يضم إلى هذه الشـــائعة القـــول بـــأن القـــائمين بالاعتداء على المسجد الحرام إنما هم إيرانيون شيعة.

وكانت كل الظروف والملابسات ترجح هذا الاحتمال. إذ كان يقـــال قبل حدوث هذه الواقعة أن الحجاج الإيرانيين كانوا يرددون، وهـــم علـــى جبل عرفات، هتافات لم يرض عنها جمهور المسلمين ولست أدرى أحـــق ما قيل أم هو مجرد شائعة أخرى..

أما الشائعة الثانية فكان أصحابها يؤكدون أن القائمين بهذا الاعتـــداء من عناصر سعودية، وقد أكدت التصريحات والبيانات الرسمية فيما بعد أن معظم القائمين بالاعتداء سعوديون.

* * *

أنهينا الجولة وعدنا وسط حشد هائل من الناس إلى " الفندق " وكانت الشمس قد اشتدت حرارتها. وحان وقت أذان الظهر. ولم يسمع المسلمون الأذان يدوى من مآذن الحرم السبع الشامخات. واقعة خطيرة لم يشهد لها العصر مثيلاً. ولم تؤد صلاة الظهر فى المسجد الحرام، واقعة أخطر تكاد السموات يتفطرن منها وتخر لها الجبال هدا. يوم عصيب من أيام التاريخ الحديث كل مصيبة سواه. فهى خطب يسير. لم يكد أحد يصدق ما يجرى حوله، ولكن الحقائق المؤلمة، والوقائع المؤسفة كانت أقوى من كل المشاعر والتخيلات، وليقضى الله أمراً كان مفعولاً.

أليس هو القائل: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ٢، ٣).

وهذه الآية، ونظيرتها تمثلان – والله أعلم – سنة الله فى الأمم والجماعات.

أو ليس هو القائل: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٥٥).

وهذه الآية تبين – والله أعلم – سنة الله فى الأفراد، وحادث الاعتداء على الحرم الشريف واحدة من تلك الفتن التى يبلو الله بها عباده جماعات وأفراداً. والجماعة التى تمحصها الفتنة تكون أقوى ما تكون على مواجهة الأخطار. ولم تخل فتنة الاعتداء على الحرم الشريف من مغزى نافع للأفراد والجماعات على حد سواء. وسنرجئ الحديث بالنسبة للجماعات. ونسجل هنا صوراً رأيناها رأى العين قام بها أفراد فى أخطر

المواضع وأكثرها تعرضاً للهلاك. وليس هناك أسخى فى الكرم والبذل من حالة إنسان يقدم على موضع يحمل فيه روحه فوق كفه وهو يعلم أن هـذا الموضع إنما هو أقرب طريق إلى الموت. وخاصة إذا كان السلاح الـذى سيقتل به يحمله عدو أحمق يراه والمقدم لا يراه وقد حدث هذا فـى اليـوم الأول للاعتداء الوخيم. وبعد أن انتصف النهار واشتدت حرارة الشمس.

بطولات نادرة

فقد ذكرنا قبلاً أن القوات السعودية اكتفت فى أول الأمـر بـالتحفظ على مداخل مناطق الحرم. وأبواب الحرم نفسه، فوضعت خلف كل بـاب من الخارج مجموعة من الجنود المسلحين. فلما انتصف النهـار تعـرض هؤلاء الجنود لحر الشمس اللافح، وللظمأ الشديد وهم ملاصقون لجـدران الحرم، وما كان أحدهم يستطيع أن يخطو خطوات إلى الأمام، لأنه إن خطا ظهر أمام المعتدين المستترين فى الدوريين الأول والثانى، والمِراقبين فـى المنائر، وهؤلاء كانوا كالكلاب المسعورة إذا أبصروا جندياً أمطروه بوابل من طلقاتهم النارية.؟

ولهذه الاعتبارات كلها آثر الجنود البقاء فى مواضعهم، فهـى أقـل ضرراً من الأخرى، إذ الخطر فيها مقدور عليه، أو هو مجرد احتمال وإن صحبته مشقات. أما تجاوز هذه المواضع فالخطر فيه محقق لا محالة؟ لأن المعتدين كانوا لهم بالمرصاد. ولأن لهذه اللحظة لم تقم القـوات الرسـمية السعودية بأى رد فعل إيجابى رادع، فكان المعتدون يصيبون ولا يصابون.

لم يقف المدنيون موقفاً سلبياً أمام تلك الأخطـار المحدقـة بـالجنود المرابطين خلف أبواب الحرم من الخارج، ولم يتخذوا منهم مجرد ملهاة أو تسلية كما هو شأن " الجماهير " فى الخطوب العظام والمجهولـة المنشـأ والغاية. بل تجلت روح من البطولة قام بها شاب نبيل العواطف، مرهـف الحس، ذكى التفكير، فلقد كان " البغاة " لا يطلقون النار على المـدنيين إذا رأوهم يسيرون وليس معهم عسكريون، فاسـتغل هـؤلاء الشـباب هـذه الظاهرة، وأخذوا يحملون معهم الأثواب البيضاء (الجلابيب) وهـو الـزى الغالب على كل الأزياء للمدنيين فى المملكة. يحملونها منخفية ثـم يسـير الواحد منهم كأنه يقصد مكاناً بعيداً، وينحرف فى سيره مقترباً من جـدران الحرم. وكان انحرافه يخضع لحساب دقيق حتى لا يتنبه لـه " القناصـة " المنتشرون فى أدوار الحرم الشريف. فإذا ما سمحت له فرصـة التخفـى عنهم لاقترابه من الجدران. هرول مسرعاً نحو الجنود المـرابطين خلـف الأبواب، وأعطاهم أو أعطى بعضهم ما معه من جلابيب. ويقوم الجنـدى على الفور بخلع غطاء الرأس الرسمى، ثم يرتدى الثوب الأبيض ويضـع سلاحه تحت إبطه ويسير كأنه مدنى لا يحمل سلاحاً. وبعضهم كان يتجـه نحو الفندق الذى نقيم فيه لأنه أقرب مكان له. ويتنـاول مـا شـاء مـن " مرطبات " ماء وغير ماء يروى ظمأه الشديد. ثـم ينضـم إلـى القـوات المنسوب هو إليها.

وبهذه الطريقة المدهشة استطاع شباب الشعب المكـى أن يخلـص عشرات الجنود من وهج الشمس وحدة الظمأ، ومن رصاص المعتدين معاً. تكرر هذا المشهد أمامنا مرات وكنا ننظر إلى كـل جنـدى ينجـو بهـذا الأسلوب كأنه مولود جديد.

وإلى هذه الصورة، أو قل الصور المشرقة نضيف صـــورة أخـــرى تجود بها روح المسلم فى الأزمات تخفيفاً على إخوانه المسلمين، فتماماً كما فعل عثمان بن عفان – رضى الله عنه – حين اشترى "البئر " من اليهودى ووقفها لمنافع المسلمين فى عام الجدب، لمـــا رأى اليهـــودى يـــتحكم فـــى مصائر الناس مستغلاً حاجتهم إلى الماء، أو قل " إلى الحياة "، تماماً كمـــا فعل عثمان – رضى الله عنه – ، فعل أصحاب "المشروبات " المجـــاورين للحرم فقد أباحوا للجنود أن يشربوا ما يشاءون من " المرطبـــات " دون أن يدفع أحدهم ثمن ما يشرب. بل إن من كان يهم منهم بدفع الـــثمن كـــان لا يقبل منه. وقد أسهم مدير الفندق الذى نقيم فيه " حسن محمـــود الســـماك " بنصيب وافر. فقد أباح للجنود أن يشربوا هنيئاً مريئاً محتويات "ثلاجتـــين" كبيرتين رافعا أمامهم كل حظر كان مفروضاً عليهما من قبل. وكان لهـــذا الصنع من الشباب، ومن مجاورى المسجد الحرام عند الجنود وقع طيـــب الأثر، بل إننا جميعاً كنا فى سعادة لما رأيناه مـــن روح إســـلامى أصـــيل يتجلى فى الشدائد كالشمس المتألقة.

أسرة تفقد .. ثم تعود

مازلنا فى أحداث النصف الأول من يوم الاعتداء، وهانحن الآن بعد الظهر بنحو ساعتين، جلسنا فى بهو الفندق، فإذا بنا نفتقد الأسرة المغربيـــة فلم نر منهم أحداً، وقد ذكرنا من قبل أن الأسرة المغربية كانت مكونة مـــن ثلاثة شبان وأم اثنين منهم، وهى خالـــة الثالـــث أو عمتـــه لا أذكـــر الآن بالضبط، وقد أثار مخاوفنا عليها قول مدير الفندق إن هذه الأسرة تواظـــب

على تأدية الصلوات الخمس فى الحرم، وخاصة صلاة الفجر، فوقع فى أنفسنا أنهم – لا محالة– محتجزون داخل الحرم ضمن آلاف المصلين، ولم نكن ندرى ماذا يفعل بأولئك المحتجزين، هل هم آمنون، أم يلاقون هواناً وعنتا.؟ وما الغاية من احتجازهم يا ترى ..؟ وهل إلى خروج من سبيل..؟

وبينما نحن – كذلك – إذا بالإسرة تأتى بأربعة أفرادها وكانوا خارجين من المسجد الحرام لتوهم، فاستوقفنا أحدهم (أحمد بن الحسن) وكان أطلقهم لساناً باللغة العربية الفصحى ويقوم فى بلده بوظيفة خطيب مسجد، وهو على جانب كبير من الثقافة الإسلامية الصحيحة.

استوقفناه ليقص علينا قصتهم وهم داخل المسجد الحرام إلى ما بعد ثلاثة أرباع النهار، فقال:

أسرار من الداخل

بعد أن فرغنا من صلاة الفجر بدأت ظاهرة عجيبة داخل المسجد. طلقات النار تتصاعد، والأبواب أغلقت ووقف عليها الحراس، ولم يسمح لنا بالخروج، بل أجلسونا تحت تهديد السلاح وقالوا لنا انتظروا واسمعوا .. ثم أخذوا يخطبون وكل من يحاول الهم بالوقوف يجلسونه، وقالوا لنا بعد قليل سيظهر المهدى بين الركن والمقام وعليكم جميعاً ان تبايعوه وتطيعوه..؟!

وانتظرنا –الحديث لأحمد بن الحسن المغربى– حتى دعونا لنبايع المهدى. فوجدناه شاباً متوسط العمر يجلس بين الركن والمقام ويقولون لنا: هذا هو المهدى فبايعوه. بايعناه – بعض المصلين الذين لم يكتمل وعيهم

بايعوه عرفاناً – والبعض المستنير بايعه مجاراة على حد قوله تعالى: ﴿ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ (النحل: ١٠٦).

وبعد الفراغ من البيعة أخذ أعوان ذلك الدجال يأتونه بالأسلحة ويقوم هو بتوزيعها وهو جالس فى مكانه على بقية أفراد العصابة ثم يشير علـــى كل من يسلمه السلاح بأن يقف فى المكان الفلانى، أى أنه كان يقوم بتوزيع الأدوار وتحديد مواقع (المرابطة) لأتباعه المخدوعين الخادعين.؟!

ونتوجه للحاج المغربى بهذا السؤال. متى خرجتم وكيـــف خـــرجتم؟ فيقول: خرجنا قبيل الساعة الثالثة، حيث زحفنا إلى الدور السفلى وأخـــذنا نبحث عن مخرج، ومعنا كثير من الحجاج والمصلين، حتى عثرنـــا علـــى نافذة عالية وضيقة، ولكنها تسمح بأن يخرج منها الإنسان وهو مسحوب لا قائم. فأخذ الحجاج والمصلون يرفع بعضهم بعضاً فيمد الحاج رأسه ويتلقاه من الخارج آخرون فيحملونه حتى يصل إلى الأرض مستقيماً.

عمل شاق تعرض له هؤلاء الأبرياء، ويبدو أن جميع الحجاج الذين قدر الله لهم الخروج قد خرجوا بهذه الوسيلة، فكـــم يـــا تـــرى اســـتغرق خروجهم من الوقت.؟ إن اليوم الأول بالطبع لم يكف لخروج جميـــع مـــن بالمسجد الحرام من الحجاج والمصلين. فبعضهم بات ليلة او ليلتين أو ثلاثاً ولا ماء ولا طعام ولا استقرار. بل إن بعض الحاجات كانـــت تصـــطحب معها طفلاً أو طفلين ظلت على تلك الحال حتى قدر الله لها من بعد عســـر يسراً.

وبعض الحجاج والمصلين وخاصة كبار السن، قد لقوا مصرعهم من هول المصيبة، وشدة الازدحام ومشاق الخروج والأمر لله من قبل ومن بعد.

بعض الآثار التى رددوها

ومن بادئ الأمر أسفرت نية المعتدين على قبح مقصدهم. وقد اشتملت خطبهم على كثير من الزيف. فإذا ما تجاوزنا ذكر الآثار التى استندوا إليها فى ظهور المهدى. فإنهم وغيرهم من المسلمين يرددون تلك الآثار وخاصة لورودها فى بعض كتب السنة ومن تلك الآثار التى ذكروها:

" عن أبى قتادة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– " يبايع لرجل بين الركن والمقام، ولن يستحل البيت إلا أهله. فإذا استحلوه فلا يسأل عن هلكة الأرض " ومنها أن عائشة – رضى الله عنها – رأت الرسول يفعل شيئاً فى المنام لم يفعل مثله. فلما سألته عن السبب قال: " العجب من أناس من أمتى يؤمون هذا البيت برجل من قريش لجأ إلى البيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم ".

ومنها الحديث الذى ينبئ بالمهدى المنتظر من أن أسمه كاسم الرسول –صلى الله عليه وسلم– (محمد بن عبد الله، ومن قريش، ومن نسل الحسين بن على–رضى الله عنهم – . وادعى الخطيب أن جميع الصفات الواردة فى الأحاديث عن المهدى المنتظر الذى يملأ الدنيا عدلا

ونوراً، كما ملئت ظلما وجوراً، كل تلك الصفات منطبقة على مهديهم الذى طالبوا المسلمين بالبيعة له وهو محمد بن عبد الله القحطانى.

خرافات زائفة

أقول إذا تجاوزنا هذه الزاوية فإن قادة المعتدين قد أضافوا إليها بهتانا خالصاً لا يرتاب فيه أحد. فهذا خطيبهم يقول مخاطباً المسلمين المحجوزين داخل الحرم، يقول لهم بالحرف الواحد:

"ونبشركم أيضاً أنه قد رؤى فى المنام المرائى الكثيرة التى لا تحصر عن المهدى. وفى بيان أنه هذا الرجل (يقصد محمد بن عبد الله القحطانى الذى ادعى أنه المهدى) وكذلك من أناس لا يعرفونه من قبل. فلما رأوه عرفوه من رؤياهم إياه فى المنام ولعلكم قد بلغكم هذا.

ويستشعر الخطيب أن هنا فجوة ينبغى أن تملأ، وهى هل كل ما يرى فى المنام يكون صحيحاً.؟

نعم نقول إنه استشعر هذه الفجوة، ولذلك أخذ يذكر بعض الأحاديث التى تدل على صدق رؤيا المؤمن، مستخلصاً منها أن الرؤى التى شوهدت عن "مهديهم" صادقة لا ريب فى ذلك ".

ثم يستطرد الخطيب ويقول بالحرف الواحد:

" فقد وردت قرائن فى هذا الرجل (يعنى مهديهم) على ثلاثة أحوال.

القسم الأول: جاء فى مرائى أناس لا يعرفونه، عرض عليهم فى المنام أن هذا هو المهدى. فقابلوه فى اليقظة وعرفوه بعلامات ظاهرة فيه.

والثانى: يقصد القسم الثانى – رأوا أن المهدى سيخرج قريباً.؟

والثالث: رأوا تاريخ بيعته، ورأوه يبايع له بين الركن والمقام. وغالبهم – أى غالب الذين آمنوا به – لا يعرف هذا الرجل (مهديهم) وقد بلغت – أى الرؤى المنامية – أكثر من عشرين .. بل أكثر من خمسين رؤيا إلى هذا اليوم .... ومن أراد التثبت فليسأل مراس بن ملعاط الغامدى ويوسف أكبر آل رضا " ..؟!

وهذان من أتباع المهدى وظاهر من كلام الخطيب أن دورهما كان فى ذلك اليوم هو رواية الرؤى المشار إليها وقصها على من يريد التثبت من شأن المهدى المطلوب التصديق به ومبايعته الآن.؟

توزيع الأفراد على المسجد الحرام

كان هذا الخطيب يمثل الجانب الفكرى لفكرة المهدى فى صبيحة ذلك اليوم. وبرز قائد آخر كانت مهمته توزيع الأفراد المسلحين على المواضع المختلفة داخل الحرم وفوق أسطحه ومنائره. وننقل للقارئ فقرات من تلك التوجيهات أو الأوامر العسكرية التى شهدها صحن الحرم الشريف فى مطلع العام الهجرى الخامس عشر.

خطابة .. وتاكتيك

قاطعت تلك الأوامر " العسكرية " كلام الخطيب الذى أخذ يتحدث عن المهدى مرات. ومما جاء فى المرة الأولى قول الموجه العسكرى:

" الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ".

يا إخواننا انتبهوا. يا أحمد اللهيبى اطلـع السـطوح (يعنـى سـطح المسجد الحرام) ومن رأيته يتمرد على البيان فأطلق عليه النار (يعنى بيان ظهور المهدى) يا سلطان ابن جار الله إلى الجهة الشرقية. فمن رأيته يتمرد أنت وبعض الإخوان فأطلقوا عليه النار، لا يسوى عليكم فوضى أو يهـدد الإخوان. ياردنى الجهة الغربية. الجهة الغربية يا عبد الله الحريسى. الجهة الشمالية .. اسمع يا راكان اطلع فوق مع اللهيبى، الجهة الجنوبية لها محمد بن مبارك الكبير اللى كان فى المدينة، إلى الجهة الشمالية الجنوبيـة بقيـة الإخوان. شاهد وعمر بن جار الله. وسلطان بن جار الله، وأبوهلال يبقـون بين الركن والمقام مع كثير من الإخوان يمسكون محلاتهـم. البيعـة بعـد البيان (يعنى البيعة للمهدى المنتظر) وبعد ما يهدون الناس (قالها مرتين) ثم تابع قوله:

" ليظهر للناس الحق فمن كان يريد الحق فليأت به .. ومن اعتـدى علينا فرب العالمين خير .. فاسمعوا وانتبهوا .. "

ويعود مقاطعاً الخطيب مرة أخرى:

" عيد بن إسماعيل .. ردينى اسمعوا: عيد بـن إسـماعيل وردينـى تذهبون مع أحمد الثانى وتأخذون بعض الإخوان اللى ما معـاهم أسـلحة، وتعطوهم وتوزعون عليهم الرشاشات. وأسلحة لبعض الإخوان الذين دخلوا بدون أسلحة. اجتمعوّا بين الركن والمقام. أذهب يا عيد إلى الركن والمقـام .. اذهب يا ردينى إلى الركن والمقام .. اذهب يا أحمد الثانى إلى الـركن والمقام. اجتمعوا فى هذا الموضع، سيظهر واحد من الإخوان تعرفونه خلوا مبايعته بعض من الناس؟ (عبارة غامضة) نحن نعـرف إخواننـا الـذين يطاردون، ورب العالمين يقول: ﴿ أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا..؟!﴾

(النساء: ٧٥) فإذا فهمنا هذا الشيء الذى هو من مهمتكم .. (تخلل هذه الجملة طلقات الرصاص فى أجواء الحرم الشريف) ثم عاد يقول:

" فهيد بن ردن (مرتين) اسمع بارك الله فيك اسمع يا أبو هلال (مرتين كذلك) إلى الركن والمقام. يا سيف إلى الركن والمقام. يا مالك إلى الركن والمقام (يموج المصلون داخل الحرم ويحاول البغاة إجلاسهم وإسكاتهم بالقوة. ويقول بعضهم للمصلين: " المسألة ليست هز رءوس، ولكن فيها ضرب رشاشات " ثم يعود الموجه العسكرى للبغاة فيقول:

وأنتم يا جميع الإخوان اجلسوا اجلسوا وليكن جميع الإخوان بين الركن والمقام .. عفاج بن جار الله انتبهوا فى توزيع الإخوان بين الركن والمقام حتى يتهيأ أمر البيعة .. ولكن اسمعوا يا إخواننا الثانين البيعة تتأخر بعد البيان ليكونوا على بينة.

يا عبد الله بن إسماعيل بن مبيريك اطلع إلى السطوح انت والجماعة ومعكم درابيل ورشاشات. أطلع إلى السطوح يا عبد الله بن إسماعيل. حتى عند المناير نبغى (نريد) رشاشات عند المناير. اطلعوا البيعة ستتأخر قليلاً. اطلعوا اطلعوا يدلونكم الإخوان إلى أقرب طريق تطلعون إلى فوق .. يا محمد بن مبارك اللى كان فى المدينة لماذا الجهة الجنوبية، خذ سليمان واذهب إليها فيها باب يحتاج تكسيره (يعنى إغلاقه) مراس بن ملعاط الغامدى، ويوسف أكبر آل رضا .. وإلى هنا يسود الجوهرج ومرج اضطر معه البغاة لتهدئة الناس، ثم ظهر صوت يدعو الناس إلى مبايعة المهدى وسط هتافات بالتكبير والتهليل من أفراد البغاة. ثم دوت فى الوقت نفسه طلقات الرصاص .. ؟!

خطوات المرحلة الأولى

كانت هذه هى المرحلة الأولى من مراحل تلك الجريمة النكراء، وقد تمت فيها بين الفراغ من صلاة الفجر إلى إشراق الشمس أو بعدها بقليل، وهى تتلخص فى الأمور الآتية:

١- اقتحام المسجد الحرام بالأسلحة والمعدات اللازمة للإقامة من طعام وماء وفرش وأغطية.

٢- محاولة إقناع المصلين بأن ما ورد من آثار منسوبة إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - عن المهدى المنتظر منطبقة على مهديهم تمام الانطباق ..؟!

٣- افتراءاتهم بأن هذا " المهدى " قد شوهد فى المنام لأناس لم يعرفوه فلما رأوه أقروا بأنه المهدى .. ؟!

٤- توزيع أفراد البغاة على أماكن " استراتيجية " داخل المسجد الحرام وفوق أسطحه وأمام أبوابه وإحكام الرقابة على المناطق المحيطة به.

٥- إرهاب المصلين داخل المسجد الحرام وحملهم على البيعة لمهديهم تحت دوى طلقات النار ..؟!

٦- إهدار دم كل من يعترض على البيان أو يظهر عدم الاقتناع به..؟!

٧- تعطيل المسجد الحرام وصد الناس عنه فلا أذان ولا إقامة ولا صلاة، ولاطواف ولا سعى لمن أراد أن يعتمر وهذه جريمة الجرائم على الإطلاق..؟!

حديث للعميد الظاهرى

وننقل للقارئ جزءا من حديث أدلى به العميد فالح الظـاهرى، وقـد عهد إليه فيما بعد بمهمة تطهير الحرم الشريف مما منى به، وهو فى هـذا الحديث يصور فى وضوح أحداث الساعات الأولى من هذا العدوان الشنيع، وتم نشر هذا الحديث بالصحف وننقله من جريدة " المدينة "، وهى إحـدى الصحف اليومية التى تصدر فى "المملكة العربية السعودية" يقـول العميـد الظاهرى:

فى صبيحة يوم الثلاثاء غرة المحرم الحرام صحوت مبكـراً علـى غير عادتى وكنت أشعر بالسعادة والبهجة فى أعماقى بمناسبة حلول العـام الهجرى الجديد، وكما تعودت دائما فى كل المناسبات أن أتخذ طريقى إلـى مكة المكرمة حيث تقيم الأسرة الكبيرة المتعددة الدور، المنبثة فـى معظـم أحياء مكة، تعودت أن أزور عائلتى كلا فى داره مهنئاً بتلك المناسبة، وما أجمل مناسبة دخول عام جديد يشعر فيه المرء باستمرار حياتـه، متفـائلا بعام جديد ربما كان أكثر سعادة من عام سابق.

بحكم هذه العادة الحسنة اندفعت بسيارتى شطر بيـت الله مـؤملا أن أصلى الظهر فى المسجد الحرام بعد أن أبلغ دور بعض من الأسرة الـذين يسكنون فى الشبيكة والمسفلة وأجياد والشـامية (1). وكنـت أود إكمـال الزيارات بعد صلاة الظهر ثم أقيل لدى الوالدة الكريمة.

١- أسماء مناطق سكنية بمكة المكرمة.

الفتنة كيف بدأت

بلغت مكة فى الحادية عشرة من صبيحة ذلك اليوم، واغتنمت فرصة مرورى بحى النزهة لأقضى بعضاً من حاجتى لدى أقاربى القاطنين بـذلك الحى .. ثم اتجهت إلى جهة الحرم الشريف مروراً بشـارع السـتين، ثـم كوبرى المنصور إلى الحفائر، وهناك كان تحول طريقى بأمر من المرور فأخذت طريق جسر الشبيكة الذى أدى بى إلى الهجلة، أردت دخول السوق الصغيرة فمنعنى رجال المرور بقولهم الطريق مقفل، وبدون جدال اتجهت إلى شارع الهجلة المؤدى إلى المسفلة حيث حاولت دخـول المسـفلة مـن المفترق فوجدت الطريق موصدا، فسألت جنود المرور فى السبب فى قفـل الطريقين إذ لا سبيل لى إلى بلوغ المسفلة أو أجياد أو الشبيكة إلا من هذين الطريقين؟ فأجابنى أحدهم خذ طريقك إلى ريع بخـش، وحاولـت معرفـة السبب فلم يجبنى إلا بكلمة واحدة " إذا كان برأسك شىء فعليك بـالحرم " وكان جواباً مبهماً لم يستطع ذكائى فك رموزه وماذا برأسى ومـاذا الـذى يصلح رأسى فى الحرم كلام عجيب مريب .. لم أستطع فهمه .. ووجـدت ثغرة فى الطريق فنزلت منها إلى شارع المسيال المؤدى إلى الحرم وكانت العوائق منتشرة به فأخذت ذلك على أن إصلاحات تجرى فى الشوارع كما تعودنا ذلك فى مكة وجدة طيلة أعوام، وراودتنى فكرة الكتابة عـن هـذه العوائق التى قفلت معظم الطريق المؤدية إلى الحرم مستنكراً ذلك خاصـة ونحن ما نزال فى موسم الحج ومكة ما زالت غاصة بالحجاج، وانتهى بى التسيار إلى مدخل شارع المسيال من جهة الحرم حيث وجـدت الشـارع محكم القفل ورجال الأمن يكمنون فى أماكن متعددة فى ذلك الشارع.

قيلة عند الوالدة لم تتم

ترجلت .. وتركت السيارة لآخذ طريقي إلى أجياد حيث عمارة الكعكي، وما أن خطوت إلى ميدان دار الأرقم حتى لاحظت ما أنكرت.

حركة المرور متوقفة تماماً إلا من بعض المارة من المواطنين والحجاج .. ووصلت إلى الحرم وجدت الأبواب مقفلة والهدوء يسود المنطقة، فلم يهتد عقلي لسبب ذلك، ولم يدر في خلدي أي مخاطرة بنفس الموقف، وتملكتني الحيرة فسألت أحد المارة لماذا أقفلت أبواب الحرم ..؟

فأجابني الله أعلم .. قلت نعم كفرنا إن لم نكن نعلم أن الله أعلم، ولكن ما الذي تعلمه أنت قال لا أدري، هناك رصاص ينطلق من فتحات الحرم ليصيب العسكريين، عجباً ولماذا ومن في الحرم وماذا يجري داخله .. قال الله أعلم.

وهكذا اتجهت إلى أجياد ولم أجد من أحد يجيب عن سؤالي حتى رجال الأمن يقولون لا ندري حتى اعترضني أحد ضباط الأمن العام مسلماً فسألته ما الأمر قال رصاص ينطلق من الحرم فيصيب جنوداً، وقد يصيب مدنيين وإني أرجو أن تأخذ طريقك بجوار المنازل ولا تخاطر بنفسك بالسير وسط الشارع.

لحظت ما أنكرت

عجباً ألا يمكن أن أعرف شيئاً .. قال ربما كان الأمر خطيراً، ولكننا لا نعلم الحقيقة كاملة ولكن سمو الأمير سلطان وسمو الأمير نايف وسمو

الأمير فواز فى فندق شبرا، لابد أنهم على علم تام بالأمر، وسارعت نحـو الفندق والضابط الحريص على حياتى يوصينى بالسرعة فى قطع عـرض الشارع هذا هو الفندق فأين الأمراء .. هم فى الطابق الأول فـى صـالون الاستقبال، وصعدت ومنعنى رجال الأمن الواقفـون علـى البـاب حتـى استطعت إثبات هويتى واستأذن لى مدير شرطة مكة، ودخلـت الصـالون وأنا فى حالة ذهول تام.

الأمراء أخبرونى بالقصة

سلمت على أصحاب السمو وسألت .. فأخبرت بالقصة التى عرفهـا كل الناس اليوم وتمكننى شعور الغضب على هذه الفئة الضالة التى اتخذت من المسجد الحرام قلعة تصب منها الموت على الآمنين الذين لا علم لهـم بما حدث داخل المسجد الحرام .. وقدمت نفسى للعمل على أنى رجل قتال محترف ومازلت والحمد لله فتىً كامل قوتى البدنية والعقلية والعسكرية، إذن أنا مجند للقتال فوراً فرحب بى أصحاب السمو الأمراء، وناقشـت معهـم الموضوع على أنه عملية عسكرية تتطلب الحسم السريع، وبينما نحن فـى النقاش والتفكير إذ دخل علينا صديق قديم كان موظفاً كبيراً بوزارة الـدفاع هو الأخ الكريم صالح الظاهرى كان يصـيح بـأعلى صـوته ويسـتغيث ويعرف نفسه فأخذته إلى جانبى ورجوته أن يهدأ لنسمع منه، وهكـذا بـدا يروى لنا القصة كما رآها من أول لحظة بعد إتمام صـلاة الفجـر حتـى خروجه من المسجد مساء ذلك اليوم.

القصة كما يرويها الشاهد

رجال مسلحون ببنادق ورشاشات صغيرة، خرج من بينهم رجل طلب من المصلين أن يبايعوا الإمام " محمد بن عبد الله القرشي بن فاطمة الزهراء " – وهكذا أطلق هذا الاسم على من ادعى أنه المهدى المنتظر، وذلك ليوافق ما ورد فى بعض الأحاديث المشكوك فى صحتها أن المهدى سيكون اسمه واسم أبيه موافقين لاسم الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – واسم أبيه – كما ألصق لقب القرشى ابن فاطمة الزهراء ليطابق الحديث أن المهدى من قريش ومن ذرية الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأجل التسليم .. فزع وهلع وذهول أصاب المصلين، فمنهم من حاول الهرب، ومنهم من تقدم للمبايعة تحت ضغط السلاح، وخطب الإمام المزعوم خطبة دامت خمسا وعشرين دقيقة شرح فيها أوضاع المجتمع الذى فسد وضل عن الدين، وجاء ليملأ الدنيا قسطاً وعدلاً إلى آخر الخرافات والتكهنات التى قذف بها لسانه بعد أن أملاها عليه الشيطان ثم دعا الناس إلى الاستجابة لدعواته والانضمام إليه فإنه هو المهدى المبشر به.

قال أخى صالح كنت أحاول جاهداً أن أفلت من قبضتهم المسيطرة فما استطعت حتى وجدت نفسى قريباً من المسعى حيث تسللت من بين الصفوف قائماً مرة وقاعداً أخرى .. ثم حاولت تسلق نوافذ المسعى الحديدية وحشرت نفسى حشراً فى إحدى الفتحات وما كدت أخرج جسمى كله من الفتحة حتى وجدتنى أقف على أرض الشارع تاركاً عباءتى وغترتى وعقالى وابتعدت مهرولاً عن المنطقة، وعرفت أن أصحاب السمو الأمراء يستقرون فى هذا الفندق، ثم بدأ يصيح هؤلاء كفرة، خنازير،

جبابرة قتلة خلصونا منهم .. هذه هى الرواية مختصرة كما رواها شاهد عيان ممن صلوا الفجر فى المسجد الحرام.

إذن فقد اتضحت لى الصورة وظهرت معالمها واضحة، فما هو العمل السريع الحاسم الذى يجب أن نتخذه لسحق هذه الفئة المتمردة الخارجة على ما اجتمع عليه أمر هذه الأمة.

الأمر لله أولاً وأخيراً .. والرأى والعمل لولاة الأمور، وإننا إن شاء الله لمخططاتهم وتوجيهاتهم لمنفذون.

* * *

هذا كلام صادر من رجل مسئول يقدر معنى كل كلمة تقال، وهذا الوصف يلتقى مع ما قدمناه فى السطور السابقة. وإن زاد أن بعض رجال الأمن كانوا يؤدون مسئولياتهم التى أسندت إليهم فى ذلك اليوم العصيب وهم لا يعلمون شيئاً عن حقيقة ما يجرى، لأن ما حدث كان صدمة لكل المشاعر، وليس فى هذا غرابة، فإن الجنود غالباً ما تصدر إليهم أوامر محددة يقومون بها دون أن يعلموا لماذا هم يفعلون ما يفعلون، فالعلم فى مثل هذه الأمور موكول إلى "القادة" بالطبع.

وفندق " شبرا " الذى وردت الإشارة إليه فى حديث العميد فالح الظاهرى هو فندق " ضخم " يقع فى المنطقة المحيطة بالحرم الشريف قبالة مستشفى "أجياد " الذى ورد ذكره فى حديث العميد كذلك.

قلنا مرات فيما سبق إن رد الفعل على هذا الاعتداء قد تباطأ إلى ما بعد ثلاثة أرباع النهار من يوم الثلاثاء غرة المحرم ١٤٠٠ هـ، بينما كانت عواطف العامة من الناس تغلى كغلى الحميم، إنهم كانوا يودون أن ينطلق الرصاص على " البغاة " الذين انتهكوا حرمة " الحرم " الشريف فى

نفس اللحظة التى ظهرت فيها " مقاصدهم " الضالة المضللة، كل الناس كنت تراهم فى شرود وحيرة هذا من ناحية، من ناحية أخرى فإنهم كانوا شرارة غضب عنيفة على هذا الفعل القبيح (احتلال الحرم) الشريف، وعلى مرتكبيه ومدبريه الآثمين.

اتضاح السّر

ولكن سرعان ما اتضح للجميع سر ذلك " التباطؤ " فى رد الفعل. وذلك للأمور الآتية:

أولاً: إن الاعتداء لم يقع على بقعة " عادية " من بقاع الأرض، بل وقع على أطهر بقعة وأشرفها وأقدسها على وجه الأرض وقع على المسجد الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمناً. والعدو تحصن داخل الحرم فما حكم القتال فى الحرم إذن .. إن الموضوع – بداهة – مرهون بمعرفة رأى الدين أيجوز القتال أم لم يجز ؟.

ثانياً: إن المعتدين البغاة قد احتجزوا معهم داخل الحرم بعض الحجاج والمصلين الأبرياء، وطلقات النار لا تفرق بين آثم وبرىء، فكل من تصيبه إنما هو " عرضة " للخطر، موتاً أو ما هو دون الموت، ولابد لهذه من فتوى وعلاج.

ثالثاً: إن رد الفعل حين يحدث قد يصيب محتويات الحرم نفسه الكعبة المشرفة – مقام إبراهيم – حجر إسماعيل – زمزم – المنائر – إلخ، فالأمر محتاج إلى حكمة وتبرير.

رابعاً: رد أى فعل مشروط فيه – حتى يحقق غايته – معرفة تامة بالظروف والملابسات المحيطة به، وفى موضوع الاعتداء على الحرم الشريف كان رد الفعل من حيث هو رد فعل محاطاً بعدة مشكلات معقدة أشد ما يكون التعقيد.

فالحرم نفسه يقع فى منطقة آهلة بالعمارات السكنية، وكذلك المؤسسات العامة والمحال التجارية، إن الحياة حوله فى أتم صورها، هذه واحدة.

والثانية: موقع العدو نفسه داخل الحرم ما هى تفاصيله؟ أين يتمركزون وأين يراقبون؟ وكم عددهم؟ ومن هم يكونون؟ وأسلحتهم ما نوعها وما مدى تأثيرها، واستمرارها ..؟

والثالثة: رد الفعل نفسه من أين يبدأ وإلى أين يتجه، خصوصاً إذا وضعنا فى الاعتبار أن الحرم حسن حصين جداً يصعب التغلب عليه من الخارج، وهذا ما حدث بالفعل كما سيتضح من سير الأحداث.

إن الوضع ليس كما كان يتصوره العامة من الناس أشبه ما يكون بلعب "الكرة" يدفعها فريق، ويصدها فريق آخر ودقائق معدودة تحسم الأمر بين الفريقين بالفوز أو التعادل إنما هو وضع خطير جداً، خطير فى حدوثه، لم يكن صدمة لقادة المملكة وسلطاتها وأجهزة أمنها فحسب، بل كان صدمة لغرابته لكل المشاعر المؤمنة وغير المؤمنة.

كانت أسى وحسرة لمشاعر المؤمنين، وشماتة وفرحاً لغير المؤمنين الذين إذا أصاب المؤمنين سيئة فرحوا بها، وإن تصبهم حسنة تسؤهم، والحمد لله فقد أنقذ الله حرمه الأمن على أيدى فتية مؤمنين، فلم تطل حسرة مؤمن، ولا دامت شماتة الشامتين، وتلك الأيام يداولها الله بين الناس،

والحق هو الحق، وإن مرض فإنه لن يموت، والباطل هو الباطل، وإن هاج وماج فإنه صائر – لا محالة – إلى الخمود، كفى بالحق حقـا إنـه حـق. وكفى بالباطل باطلا إنه باطل.؟ هل يستويان – الحمد لله بـل أكثـرهم لا يعلمون.

استفتـــــاء العلماء

تبددت حيرة الناس، واختفى تساؤلهم عن السر وراء بطؤ رد الفعـل حين بثت وسائل الإعلام – هنا – فى مكة المكرمة والعواصم الأخـرى أن ولاة الأمور لم يتعجلوا ردود الفعل حتى عرضوا الأمـر علـى أصـحاب الفضيلة العلماء وطلبوا منهم إصدار فتوى شرعية مستندة إلـى البرهـان، والدليل حول ما جرى وما يجوز أن يواجه به من مواقف. وهـذا سـلوك إسلامى بلا نزاع أن يستفتى ولاة الأمور من الساسة أصحاب الرأى مـن العلماء فى معضلات الأمور ومشكلاتها، ولم يتوان السادة العلماء فى إبداء الرأى الإسلامى تجاه هذه الجريمة المنكرة وننشـر – هنـا – مـا قـالوه بالحرف الواحد فإنه لذو دلالات موجبة طيبة الأثر.

نص الفـــــتوى

قال السادة العلماء:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيه محمد وعلى آله وصـحبه وبعد، ففى يوم الثلاثاء اليوم الأول من شهر المحرم عام أربعمائـة وألـف

من الهجرة دعانا نحن الموقعين أدناه جلالة الملك خالد بن عبد العزيـز آل سعود فاجتمعنا لدى جلالته فى مكتبه بالمعذر وأخبرنا أن جماعة فى فجـر هذا اليوم بعد صلاة الفجر مباشرة دخلوا فى المسـجد الحـرام مسـلحين وأغلقوا أبواب الحرم وجعلوا عليها حراساً مسلحين منهم، وأعلنـوا طلـب المبايعة لمن سموه المهدى وبدأوا مبايعته ومنعوا الناس من الخروج، مـن الحرم وقاتلوا من مانعهم وأطلقوا النار على الناس داخل المسجد وأصـابوا غيرهم وأنهم لا يزالون يطلقون النار على الناس خارج المسجد واسـتفتانا فى شأنهم وما يعمل معهم فأفتيناه بأن الواجب دعـوتهم إلـى الاستسـلام ووضع السلاح فإن فعلوا قبل منهم وسجنوا حتى ينظر فى أمرهم شرعاً .. فإن امتنعوا وجب اتخاذ كافة الوسائل للقبض عليهم ولو أدى إلـى قتـالهم وقتل من لم يحصل القبض عليه منهم ويستسلم إلا بذلك لقول الله تعـالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَـاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ١٩١) .. ولقول النبى – صلى الله عليـه وسلم – (من أتاكم وأمركم جمع يريد أن يفرق جماعتكم ويشـق عصـاكم فاضربوا عنقه) [رواه أبو مسلم] والآيات والأحاديث فـى هـذا المعنـى كثيرة، ونسأل الله أن يعلى كلمته وينصر دينه وأن يخذل من أراد الإسـلام والمسلمين بسوء، وأن يشغله بنفسه بأنه سميع مجيب، اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

البيان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآلـه وصـحبه .. ونسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويخذل من أراد الإسلام والمسـلمين بسوء وأن يعيذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وإن يكبـت مـن أراد الفساد والإلحاد فى حرم الله وانتهاك حرمته وسفك دماء المسلمين، وبعـد فإن هذا العمل الشنيع الذى قامت به هذه الطائفة الظالمـة التـى انتهكـت حرمة الله وأقدس بقعة فى أرضه، وسفكت فيه الدم الحـرام فـى الشـهر الحرام فى البلد الحرام وفى رحاب الكعبة المشـرفة وروّعـت المسـلمين الآمنين فى أمن الله وحرمه .. عمل مخالف لكتاب الله وسـنة ورسـوله – صلى الله عليه وسلم – وإجماع الأئمة، ويعتبر منكـراً عظيمـاً وإجرامـاً شنيعاً وإلحاداً فى حرم الله الذى قال الله فيـه: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْـمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الحج: ٢٥) وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُـمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الـدُّنْيَا خِـزْيٌ وَلَهُـمْ فِـي الآخِـرَةِ عَـذَابٌ عَظِيمٌ﴾(البقرة: ١١٤) وصح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: (إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهى حرام بحرمـة الله إلى يوم القيامة وأنها لم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى، وإنما أحلـت لى ساعة من نهار .. وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بـالأمس فليبلـغ الشاهد الغائب) متفق عليه .. وهذه الطائفة تجرأت على مخالفـة أمـر الله وأمر رسوله – صلى الله عليه وسلم – وإجماع الأئمة ولـذلك سـأل ولاة الأمر عن الحكم لمكافحة شر هؤلاء فصدرت الفتوى الشرعية بـأن علـى

ولي الأمر أن يقضي على فتنتهم باتخاذ كافة الوسائل، ولو أدى ذلك إلى مقاتلتهم إن لم يندفع شرهم إلا بذلك .. لقول الله تعالى ﴿ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٩١) وهذه الآية وإن كانت نازلة في الكفار فإن حكمها شامل لهم ولغيرهم ممن فعل فعلتهم فاستحل القتال في الحرم بإجماع العلماء، ولقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم فاضربوا عنقه كائناً من كان)، وهذا حكم من يدعى أنه المهدى وغيره، وهذه الطائفة أرادت شق عصا المسلمين وتفريق كلمتهم والخروج على إمامهم، فدخلت في عموم هذا الحديث وغيره من النصوص الشرعية الدالة على معناه وولاة الأمر وفقهم الله لكل خير، مشكورين على ما قاموا به من جهد لإخماد هذه الفتنة والقضاء عليها، فنسأل الله أن يعز بهم الإسلام والمسلمين، وأن يوفقهم لما فيه صلاح العباد والبلاد إنه سميع مجيب، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

أسماء أصحاب الفضيلة العلماء

الشيخ عبد الله بن حميد – الشيخ عبد العزيز بن باز – الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد – الشيخ راشد بن صالح بن خنين – الشيخ راشد بن عبد العزيز بن مترك – الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة – الشيخ عبد الرحمن بن محمد ابن فارس – الشيخ ناصر بن حمد الراشد – الشيخ سليمان بن عبد العزيز بن سليمان – الشيخ محمد بن عبد

الله الأمير – الشيخ عبد العزيز بن محمد بن زاحم – الشيخ عبد الله بن العزيز بن رشيد – الشيخ محمد بن سليمان البدر – الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير – الشيخ صالح بن على بن غصون – الشيخ غنيم بن مبارك الغنيم – الشيخ ناصر بن عبد العزيز الشترى – الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع – الشيخ عبد العزيز العيسى – الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ – الشيخ محمد علوى متكى – الشيخ صالح بن محمد بن لحيدان – الشيخ محمد بن سبيل – الشيخ سليمان ابن عبيد – الشيخ عبد الرحمن حمزة المرزوقى – الشيخ محمد بن إبراهيم البشر – الشيخ محمد إبراهيم العيسى.

* * *

هأنذا قد فرغت – عزيزى القارئ – من أقوال العلماء وفتواهم ومما تجدر الإشارة إليه أنهم كانوا أمناء فى بيان حكم الشرع فى الذين قاموا بهذه الجريمة " النكراء " فلم يقطعوا بأمر القتال من أول الأمر، بل جعلوه غاية قصوى تتقدم عليه، وسائل أخرى أحقن للدماء، وأحسر للخطر، فقالوا:

" بأن الواجب دعوتهم إلى الاستسلام ووضع السلاح فإن فعلوا قبل منهم، وسجنوا حتى ينظر فى أمرهم شرعاً – أى ينفذ فيهم حكم القضاء المستند إلى دليل شرعى، فإن امتنعوا وجب اتخاذ كافة الوسائل للقبض عليهم ولو أدى إلى قتالهم وقتل من لم يحصل القبض عليه منهم ويستسلم إلا بذلك، لقول الله تعالى: ﴿ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٩١)...

وإذا كانت هذه الفتوى قد أوضحت الحكم الشرعى فى جواز قتال هؤلاء "البغاة " وإن تحصنوا بالحرم إذا لم يستجيبوا للوسائل الأخرى التى

فيها حقن للدماء، فإن تعليمات ولاة الأمور قد حددت أربعة أهداف يمارس على ضوئها القتال وهى:

تعليمات ولى الأمر

١- عدم المساس بقدسية البيت العتيق.

٢- بذل أقصى الجهد للقبض على " البغاة " أحياء.

٣- الحرص الشديد على سلامة الأبرياء المحتجزين داخل المسجد الحرام.

٤- الإقلال من الخسائر فى أفراد القوات التى عهد إليها بمهمة تطهير المسجد الحرام.

وهذه الأهداف - كما ترى - قد جعلت مهمة قوات التطهير صعبة إلى أقصى درجات الصعوبة، تحتاج إلى سعة حكمة، ودقة تدبير فى التخطيط والأداء العملى سواء بسواء.

اما المشكلة المتعلقة بمواقع المعتدين ونوعية أسلحتهم ومدى تأثيرها، ومن أين يبدأ رد الفعل وإلى أين ينتهى، فلا نزاع أن القيادة العسكرية قد أعدت للأمر عدته فى ثلاثة أرباع اليوم الأول من الاعتداء، وهانحن أولاء مترقبون لرد الفعل من قبل قوات التطهير، فمتى بدأ، ومن أين، وكيف؟ ذلك ما نراه الآن.

وجاء رَدُّ الفعل

فى الساعة الثالثة والنصف – تقريباً – من يوم الثلاثاء غرة المحرم ١٤٠٠ هـ، بدأ رد الفعل عنيفاً قوياً، بدا – فيما علمنا – من فـوق رءوس الجبال القريبة من منطقة الحرم، وسرعان ما استحال "السكوت " رعـودا مدوية، أى والله رعود مدوية وصواعق بددت كل اسـتقرار، كمـا بـدأت مقاومة رد الفعل من البغاة أنفسهم، ولكن أسلحتهم كانت قصيرة المدى أمام ذلك السيل الجارف من قوات التطهير، ومع أول طلقة سـمعناها مـن رد الفعل أخذت قلوبنا تحيا من جديد .. ونحن قابعون فى استرحة الفنـدق .. أعيننا على الحرم، وقلوبنا فيه، استبشرنا أيما استبشار ونحن نسـمع دوى رد الفعل الذى كنا نترقبه، وكان " الفندق " الذى نقيم فيه بحسب موقعه تمر من فوقه " فى سمائه " طلقات النار المختلفة المصـادر مـن ردود الفعـل الكثيف، كما كان مواجهاً لطلقات النار الصادرة من المعتدين مـن داخـل الحرم الشريف، واستمر رد الفعل على مدى ساعات الأصـيل مـن ذلـك اليوم، ولم يتوقف طوال الليل وإن كانت تحدث فترات هدوء قصيرة، وحين غربت الشمس من اليوم الأول أطفئت الأنوار فى الميدان الفسيح المترامى الأطراف المحيط بالحرم، كما أطفئت الأنوار داخل الحرم نفسه، ويقال إن المعتدين قد قاموا بقطع الأسلاك الكهربائية داخل الحرم بمجرد أن فرغـوا من بيانهم وأخذ البيعة لمهديهم تحت دوى الرصـاص، ولقطـع النـورين خارج وداخل الحرم أهداف " استراتيجية "، أما داخل الحرم فلأن المعتدين أرادوا أن يوفروا لأفرادهم حرية " الحركة " حتى لا يـراهم أحـد، وأمـا

خارج الحرم فلأن المعتدين كانوا يطلقون " النيران " على كل من يرونـــه من العسكريين.

موقف .. وإخلاص

وما أن كادت الشمس تغرب، وتنعدم الرؤية خـــارج الحـــرم حتـــى شعرنا بحضور " جندى " من قوات الحرس الوطنى السعودى الذين يطلـــق عليهم "الخويان" أو " الخويا " وهو رجل فى متوسط العمر، جـــاء يحمـــل سلاحه وأخذ لنفسه موقعاً أمام باب الفندق فجلس على كرسى خلف ثلاجـــة مستطيلة من محتويات الفندق، عينه على الحرم، وسلاحه مصوب تجاهه، لم ينم طيلة الليل، بل ولم يتحرك من مكانه، ولم ينحرف ببصره إلى جهـــة غير مواجهة الحرم.

وحين حان وقت صلاة الفجر قام مسرعاً فتوضأ، وصـــلى صـــلاة خفيفة ثم عاد إلى موقعه، كان هذا الجندى " وحيـــداً " فلـــم تمـــر عليـــه " دوريات تفتيش " ومع هذا فقد أدى واجبه فى بطولة وإخلاص.

كنا نعجب من صبره وإخلاصه لم يغب عن ملاحظتنا لحظة واحدة، فقد طلب منا مدير الفندق أن نعسكر فى استراحة الفندق، فلا نصعد للنـــوم فى الغرف العليا خشية إصابتنا بضرر، وخاصة أن جميع الغرف تقع تجاه الحرم ونوافذها قبالته وليس لها " سدادات " إلا من الزجاج والسلك فظللنـــا بالاستراحة لا صعود ولا خروج منها لا ليل ولا نهار طيلة أيام المحنة، ما عدا مرتين سيأتى ذكرهما فى مناسباتهما .. ظـــل ذلـــك الجنـــدى نهـــاره (الأربعاء) كما ظل ليله، ومع طلوع الشمس من يوم الأربعاء طلـــب مـــن

مدير الفندق شيئاً يقتاته، وبالشدة الحسرة، فقد كنا مثله فى أشد الحاجة لما يقيم الصلب، حيث لم يتناول أى منا طعاماً طيلة يوم الثلاثاء، إذ لا يوجد من يبيع الطعام فنحن وهو محصورون لا حول ولا قوة لنا .. وعشنا معاً أيام الأربعاء، والخميس، والجمعة والسبت على قليل من التمر بواقع ربع كيلو كل يوم للفرد الواحد من نزلاء الفندق، ولمن يأتى للمراقبة من الجنود، واحدا أو اثنين أو ثلاثة، واستمر رد الفعل يوم الأربعاء وليلته بطولهما، وفى ليلة الخميس ارتفع عدد الجنود .. المراقبين أمام مدخل الفندق إلى ثلاثة رابعهم أميرهم، وقد سرنا منهم أنهم حين يأتى وقت الصلاة يتقدم أحدهم فيصلى بهم إماماً صلاة خفيفة، ثم يعودون لمواقعهم فى سرعة البرق، صورة طيبة للمقاتل المسلم فلا فضل فى جندى يهمل الصلاة مادام قد أتيح له أداؤها.

ساعات حرجات

وفى التاسعة من صباح الخميس " اليوم الثالث للاعتداء " اشتد القصف فوق رءوسنا داخلا للحرم وخارجا منه، ولم نكن نسمع شيئاً سوى " القصف والدوى " وتتراقص جدران الفندق من حولنا، ونظن أنها " القاضية " ويأخذ الجميع فى ذكر كلمة " التوحيد " مردداً لها مرات ومرات، بل إن البعض قد جلس على الأرض، مطأطئا برأسه إلى أسفل، مترقباً لسقوط الفندق علينا، مودعاً الحياة بكلمات الشهادتين، أو تاليا قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ (البقرة: ٢٥) .. ساعة رهيبة، مرت لم نر قبلها مثلها، وإن كنا قد رأينا بعدها أمثالها، تجمع فى استراحة الفندق

الأسرتان الباكستانية والمغربية، رجالاً ونساء، ونحن نزيلا الفندق المعاران للجامعة، ومدير الفندق ومساعده، وتحت وطأة الضرب الشديد نسمع أحـد الحجاج المغاربة " أحمد بن الحسن " يتلو دعاء وتضرعاً إلـى الله رافعـاً رأسه إلى السماء ويقول:

" اللهم إنا أعددنا لكل هول لا إله إلا الله، ولكل نعمة الحمد لله، ولكل رخاء الشكر لله، ولكل أعجوبة سبحان الله، ولكل ضيق حسبنا الله، ولكـل ذنب أستغفر الله، ولكل هم وغم ما شاء الله، ولكل قضاء وقدر توكلت على الله، ولكل مصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون، ولكل طاعة ومعصية لا حـول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ".

يدعو بها مردداً إياها بنبرة صادقة، فإذا توقف طلبنا منه الاسـتمرار فى ترديدها، حتى هدأت العاصفة وأفرغ الله علينا صبراً، وثبـت أقـدامنا، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

* * *

وهدأت العاصفة، وكان مِنَ عجائب القدر أن تسقط (مفرقعة) علـى سطح الملحق الخشبى المجاور للفندق، وفيه كانت تقيم الأسرة الباكسـتانية كما تقدم، وقد صعد مساعد مدير الفندق على ذلك السطح فأبصرها، وجاء مسرعاً وأخبرنا بالقصة، فصعدنا ونظرنا إليها من بعيد، وطلب بعضنا من مدير الفندق أن يبلغ عنها، ولكنه تحفظ لعدم علمه بطريقة الاتصال، مسلماً الأمر لله، وبعد ثلاثة أيام من سقوطها أخبرنا أحد الجنود فصعد وأبصـرها ثم اتصل هو بمن له خبرة بأمر المفرقعات، فحضر فى نفس اليوم وحملها ولم ندر من أمرها شيئاً، ولكن الله سلم، نعم ولكن الله سـلم، فمـاذا كـان

سيحدث لو انفجرت هذه المفرقعة على غرف مصنوعة من الخشب مجاورة لمنطقة آهلة بالسكان، صحيح ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

استمر القتال من الجانبين يوم الخميس وليلة الجمعة، فكنا نسمع طلقات النار من مصادر مختلفة، ولكن لم نر تلك المصادر، فالبغاة متحصنون بالحرم الشريف، وقوات التطهير تعسكر حسب الخطة التى وضعت لها، ولم نكن نرى إلا أفراد المراقبة الليلية، وهؤلاء لم يطلقوا طلقة واحدة، وربما كانت المهمة الموكولة إليهم هى الانقضاض على من يخرج من البغاة من الحرم، وهذا ما لم يحدث حتى هذه اللحظة.

مرحلة جديدة من القتال

وبطلوع شمس الجمعة الموافق الرابع من المحرم ١٤٠٠ هـ والثالث والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٧٩، دخل القتال فى مرحلة جديدة مغايرة تماماً للمرحلة التى بدأت يوم الثلاثاء بعد الظهر، واستمرت حتى صباح الجمعة، فالمرحلة الأولى يمكن أن نطلق عليها مرحلة القتَال من الخارج، ولا شك فإن قوات التطهير كانت قد أحرزت فيها تقدماً لمسنا أثره قوياً واضحاً يوم الجمعة الذى كان بداية لمرحلة جديدة من القتال.

وتتميز هذه المرحلة بأن مطاردة البغاة قد بدأت من داخل الحرم الشريف، فما اشتد ساعد النهار من يوم الجمعة هذا حتى أدركنا أن معارك رهيبة جداً تدور داخل المسجد الحرام وتبلغ الذروة أحياناً فكنا لا نسمع صوت طلقات نارية لكل منها بداية ونهاية، بل نسمع دوياً مستمراً ليس فيه واحد من المائة، من الثانية " هدنة " دوى عنيف مختلط مستمر حتى ليخيل

إليك أنه من مصدر واحد لا يعرف التوقف، ومع هذه الظاهرة فقد بدت لنا سمة أخرى من سمات القتال فى المرحلة الثانية، وهى أنه كان يحدث فـى جهة معينة من جهات الحرم، ثم يستمر متقدماً إلى جهات أخرى فى شـكل دائرة يبدأ من نقطة، ويستمر متقدماً فيبتعد عنهـا وتقـل حـدة الصـوت المسموع لنا .. ثم يعود قوياً شيئاً فشيئاً كلما اقترب من النقطة التـى بـدأ منها، وهكذا مرات ومرات، واستنتجنا من هذه الظاهرة أن التطهير قد بـدأ يتتبع أولئك " البغاة " فى مواقعهم التى احتلوها داخل الحرم الشريف، ولكن شيئاً غريباً كان يحدث بين الحين والحين وهو سماعنا لأصوات تقترب من الأبواب من داخل الحرم وتهتف الله أكبر الله أكبر، وكنا نتساءل: أصـوات من هذه، هل هى أصوات جنود التطهير تبشرنا بالنصر ؟

أم هى أصوات الأبرياء من المصلين الذين احتجزوا ظلماً وعـدواناً فهم يكبرون لأن الله أوشك على أن يجعل لهم من ضيقهم مخرجاً؟ أم هـى أصوات "البغاة" إصراراً وعناداً، وكنا نأمل أن لا تكون هذه هى أصـواتهم .. ويستوى عندنا بعد ذلك أن تكون أصوات جنود التطهيـر أم المصـلين الأبرياء، فمشاعرنا هى مشاعرهم وأملنا هو أملهم.

كانت هذه المرحلة من أظهر ما سجلته الذاكرة من مراحل القتـال، ومن أقواها بعثاً لروح التفاؤل فينا، وما من يوم نستقبله إلا ونحـن علـى وعد مع أنفسنا بأن أبواب الحرم ستفتح فيه.

وليس معنى هذا أن المقاومة من " الخارج " والداخل قـد توقفـت، فالبغاة ما يزالون يحتلون أماكن تسمح لهم بإطلاق الرصاص حتى خـارج الحرم، فضلاً عن الداخل .. وقوات التطهير السعودية كانت تصب نيرانها

من الخارج على أماكن تحصنهم مساندة بذلك الجهود البطولية التى تقـوم بها قوات التطهير من الداخل فتلتقى الناران على أمر قد قدر.

وجاءت ليلة السبت ونهاره خاتمة للمرحلة الثانية التى اشترك فيهـا القتال من "الخارج" مع عمليات التطهير من الداخل فقلت نوعاً ما مقاومة " البغاة " واضطروا لتضييق الخناق عليهم للتخلـى عـن بعـض مـواقعهم الحساسة، أو لعمليات هروب كما كان يقال، فمنهم من ارتـدى ملابـس " حريم " وخرج فى ظلام الليل، ومنهم من حاول الهـروب سـيراً تحـت الأرض بوساطة المواسير الضخمة الممتدة من قاع بدروم الحرم إلى بطون الجبال. وهذه المواسير مصنوعة خصيصاً لتصريف المياه عـن صـحن الحرم لو تعرض لأمطار غزيرة أو سيول، ومن نقل هـذه الروايـة أردف قائلا أن قوات الأمن السعودية كانت تضع ذلك فى الحساب، ولذا فقد ألقت القبض على ثلاثة عشر منهم حاولوا الهروب عن طريق تلـك المواسـير، هذه رواية شفهية سمعناها ممن لهم صلة وثيقة بعمليات التطهيـر .. وقـد قوى من صحتها ما نشرته بعض الصحف عن أحد المسئولين فى الأمـن بأن رجال الأمن قد ألقوا القبض على أحد أفراد العصابة بجبل خندمة (١).

استمرت المرحلة الثانية من القتال إلى مغرب شمس السبت الخامس من المحرم، ومع طلائع ليلة السبت بدأت مرحلة ثالثة من القتال اقتربـت من النهاية، وقبل أن نتحدث عن هذه المرحلة نثبت للقـارئ هنـا حـديثاً أجرته صحيفة الرياض يوم الثلاثاء ٢٩ المحرم ١٤٠٠ هـ الموافـق ١٨ ديسمبر سنة ١٩٧٩م مع بعض قوات التطهير الذين أصيبوا بأيدى " البغاة "

١- جريدة البلاد (٢٢ المحرم).

وهم يحاولون اقتحام الحرم الشريف لمطاردتهم، وقد أجرت الرياض هـذا الحديث معهم وهم يعالجون من إصاباتهم فى أحد المستشفيات.

وإليك نص الحديث:

كان " للرياض " لقاء مع العريف عيد سفر عبد الله العتيبـى الـذى شارك فى الهجوم يومى الأربعاء والخميس يقول إن إصابته كانـت عنـد زمزم .. وكانت مهمته إيصال المؤن لزملائه المقاتلين عند بئر زمزم وأنه أصيب مع اثنين من زملائه بعد أن نجح فى أداء مهمته وهو فـى طريـق العودة خارج الحرم الشريف وكانت الطلقة من المنائر وأصـيب العريـف عبد الله فى فخده.

زملائى أنقذونى

ويواصل حديثه ويقول: بعد إصابتى من طلقة مـن إحـدى المنـائر أسقطت على الأرض .. وجاء زملاء لى من العسـكريين ونقلـونى إلـى الخارج .. وقد حاولت أن أشاهد واحدا من هؤلاء المعتدين المجرمين ولـم أستطع لأنهم كانوا متحصنين بشكل جيد ..

وأحمد الله وإن شاء الله إصابتى بسيطة وأنوى العودة للعمـل بعـد خروجى من المستشفى بالسلامة ..

كنا أول المهاجمين لتطهير الحرم الشريف

وكان (للرياض) لقاء آخر مع الرقيب محمد عايض القحطانى الــذى قال لقد دخلنا إلى منطقة الحرم أول ليلة (مساء الثلاثاء) بقيادة الرائد الشهيد المغفور له سليمان الشامان، وحاولنا اقتحام باب السلام ووجــدنا مقاومـــة شديدة من الداخل وكانت مجموعتنا تضم ثلاثين فرداً، وكـــان المجرمـــون الأعداء متحصنين وقد فتحوا الباب درفة واحدة وهم يحاولون اصطياد أى شخص يحاول أن يلقى نظرة داخل المسجد، وكنا نحاول رميهم من بعيـــد ونتناول معهم إطلاق النار وكان من الصعب الدخول من هذا الباب لكثافـــة النيران وأصبنا اثنين منهم قبل إصابة أى فرد منا.

بعد إصابة أفرادهم كثفوا نيرانهم من داخل الحـــرم، ومـــن المنـــائر وأصابوا الرائد الشهيد سليمان الشامان وزميلى العريـــف محمـــد مهـــدى الحمدى وأنا وجلسنا حوالى الساعة فى هذا الموقع قبل إصابتنا وأضـــيئت بالأنوار فجراً، ثم أطفئت الأنوار وانتقلنا إلى موقع آخر لإنقـــاذ الـــزملاء المصابين ولحقت بنا تعزيزات، وعندما جاءت إصاباتنا وأصبت فى ركبتى برصاصة، ومشيت عليها بعض الوقت ثم جلست وأطلقوا علىّ رصاصـــة ثانية أصابتنى فى الفخذ الأيسر واخترقته.

رفضت الخروج من المعركة خوفاً على زملائى

ويضيف العريف محمد عايض القحطانى، لقد حاول زملائى نقلى ولكنى رفضت لأن المجرمين سيقتنصونهم فرداً فرداً وأخذت أزحف لوحدى حتى وجدت الرائد سليمان وقد أصيب للمرة الثانية، وأعتقد أن قنبلة من القنابل التى كان يحملها قد أصابتها طلقة فانفجرت به، وكانت إصابته الأولى فى وجهه، وقد رأيته شهيداً قد لقى وجه ربه وحمل معه الشهادة ووسام البطولة وفداء الدين والوطن.

ولم أكن أستطيع الحراك ولم تحركت لرمونى، ولحظتها أنيرت الإضاءة وشاهدتهم فى المنائر، وهناك مكان زملائى وأستطيع أن أصل إليه ولكن بصعوبة فقفزت مخاطراً فشاهدونى أقفز وأمطروا المنطقة بنيرانهم ووصلت إلى زملائى وجلسنا حوالى اثنتى عشر ساعة، وأنا وعدد من الزملاء معزولون عن القوات الأخرى وانقطع الاتصال معهم.

ثلاثة من المواطنين الأبطال أنقذونا

أثناء حصارنا كان المجرمون لا يقتلون المدنيين فى أول الأيام وكان بإمكانهم التنقل حول الحرم .. وكان ثلاثة من المواطنين من أبناء مكة المكرمة الطاهرة كانوا يقومون بخدمة الجرحى من جنودنا البواسل كانوا ينقلونهم إلى المستشفيات أو إلى مراكز الإسعاف.

لقد أحضروا لى ولزملائى ملابس مدنية من منـزلهم القريب من موقعنا، وأحضروا نقالات حملونا عليها أنا وزميلى محمد مهدى وأوصلونا إلى الإسعاف واتجهنا للمستشفى .. وعاد المواطنون الثلاثة لنقل عدد من الجرحى أيضاً .. وأنقذوا أربعة مصابين من زملائنا .. وأنا الآن أقدم شكرى وتقديرى واعتزازى بهؤلاء المواطنين الثلاثة من أبناء مكة الذين ضربوا أروع مثل فى التضحية والفداء، ومد يد العون لنا، لقد قاموا بواجبهم رغم الخطر الداهم لهم .. لقد أنقذونا وقدموا خدمة لن ننساها، وأتمنى من الله أن يجمعنى بهم، وأرجو أن يسمعوا ندائى هذا وأن أسمع صوتهم، وأن أتعرف عليهم لأن وضعى لم يسمح لى لحظتها بسؤالهم عن أسمائهم وأخبرهم أننى بخير، وهذا بفضل الله ثم بفضلهم.

لا نسمع إلا أصوات الرصاص

فى اليومين الأولين اختفى صوت الأذان من المسجد الحرام والتهليل والتكبير ولم نعد نسمع إلا صوت الرصاص يطلق فى كل مكان من هذه الطغمة خارج الحرم كنا نتبادل إطلاق النار مع الطغاة وحاولنا دخول الحرم كانت الأبواب مغلقة .. وأصبت أثناء تلك المحاولات خارج الحرم ولم أتشرف، بالدخول للحرم للمشاركة فى تطهيره، ولم أشاهد أحداً من تلك الزمرة إلا واحداً كان يحاول قنص زملاء لنا من النافذة .. وقمنا برمايته واختفى .. وأنا أصابتنى طلقة نارية ونقلت إلى المستشفى فوراً.

أصبت مرتين وآلمنى منظر المشوهين

ويقول العريف مرزوق عبيد العتيبى: شاركت منذ اليوم الأول واستمريت لمدة أربعة أيام وأنا أشارك .. هجمنا يوم الثلاثاء الساعة ٤,٣٠ عصراً ووجدنا الأبواب مغلقة، وانتظرنا وعملنا محاولات عند باب الملك عبد العزيز ولكن المجرمين كانوا يطلقون النار بكثافة بالغة وذهبنا للاستراحة وعدنا الساعة ١٢ ليلاً، وفى اليوم الأول أصبت بركبتى إصابة خفيفة، وفى اليوم الثانى هجمنا من جهة سوق الليل .. ثم بعد اقتحام الحرم من الأبواب دخلنا ووجدناهم قد قتلوا العديد، واستشهد منا نقيب فى المرور والعريف البطل حامد مسفر ويوم السبت أصبت للمرة الثانية من طلقة نارية فى ركبتى وكانت مهمتنا ذلك اليوم تطهير المسعى وأصبت فور دخولى، وقد تأثرت لمنظر الموتى المشوهين ووجوههم المحروقة من اليوم الأول والثانى، ولم نكن نشاهد من أفراد هذه الزمرة الباغية أحداً لأنهم كانوا متمركزين، وكنا نسمع صوت الرصاص، ولا يطلقونه إلا على الأفراد العسكريين.

والدى كان يتابعنى فى مكة وزارنى هنا ..

يواصل العريف مرزوق عبيد العتيبى حديثه " للرياض "، ويقول: إن والدى كان يدعو لى بالتوفيق ويتابعنى وأنا فى مكة، وكان يشجعنى وقد زارنى فى المستشفى بعد إصابتى وحمد الله وشكره على سلامتى .. وكان يقول إن هذا جزء من واجبك يا ولدى ولن يصيب ابن آدم إلا ما كتب الله له.

نتمنى أن نكون فى القدس:

وحول المكرمة الملكية قال: إنه شيء عظيم ولا تهمنا الماديات بقدر ما لمسنا عطف ولاة أمورنا وقادتنا وأبناء شعبنا، لقد كان لهـــذه المكرمـــة عظيم الأثر والامتنان، ونرجو من الله أن نكون فى المرة القادمة فى القدس الشريف لتحقيق أمنية كل المسلمين وفى مقدمتهم الفيصل الشـــهيد وخالـــد العظيم وفهد الأمين وكل مسلم.

إن أقوال هؤلاء الجنود، وهم من طليعة من حاولوا اقتحام الحرم بعد أن تحصن فيه " البغاة " وحرموه على الناس، لتدل دلالـــة واضـــحة مـــن الأعماق على مدى التيقظ الذى بدأ به " المعتدون " المقاومة التى استهدفت تطهير المسجد الحرام منهم، وإلى أى حد كانت الصعوبات تعترض قـــوات التطهير.

كما تبين هذه الأقوال يقظة الشباب فى الالتفاف حول الجنود، والأخذ بيد من يصاب منهم.

المرحلة الثالثة

رجاء دور الحديث عن المرحلة الثالثة من القتال، والتى بـــدأت مـــع مغرب شمس يوم السبت الخامس من المحرم والخامس للاعتـــداء الأثـــيم والواقع أن هذه المرحلة كانت " ثمرة " المرحلتين السابقتين: مرحلة القذف من الخارج. ثم مرحلة انتقال القتال إلى الـــداخل مـــع اســـتمرار القـــذف الخارجى أحياناً. كما أن المرحلة الثانية وهى مرحلة انتقال المطاردة إلـــى داخل الحرم الشريف كانت ثمرة المرحلة الأولى من القتال، وهى القـــذف

البركانى من الخارج، فكل مرحلة إذن كانت تسلم للتى تليها، وهذا معناه أن قوات التطهير كانت تحقق نجاحاً مطرداً فى إصابة أهدافها، وإن تخلل ذلك بطء فإن سببه طبيعة الظروف التى باشرت فيها مهماتها، والأهداف التى حددتها القيادة السياسية العليا من المحافظة على قدسية الحرم الشريف وعدم المساس بأرواح الأبرياء المحتجزين داخل المسجد، ثم محاولة القبض على المعتدين أحياء ما كان ذلك ممكناً، ثم التقليل من الخسائر فى أفراد قوات التطهير.

فإذا أضفنا إلى هذه العوامل عامل البيئة التى صارت ميداناً لنيران كثيفة، وهى بيئة تمثل قلب الحياة فى مكة المكرمة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان، وضح لنا السر وراء البطء فى الوصول إلى " الغاية " وهى تطهير البيت الحرام فى زمن قصير، والقتال فى مثل هذه الظروف يحتاج مهارة ودراية وصبرا، وإلا فإن مراعاة تلك الأهداف التى اشترطت المحافظة عليها تكون أمراً مستحيل الوقوع.!

بدت طلائع المرحلة الثالثة من القتال كما تقدم مع غروب شمس السبت، وكان يتقدم موكب تلك الطلائع ظاهرة لمسناها بعد غروب الشمس بقليل، فقد أضيئت الأنوار فى الميادين والشوارع المحيطة بالحرم، كما أضيئت بعض أجزاء من المسجد، حدث هذا ونحن جلوس فى فناء الفندق ننظر بقلوبنا من شدة الإحساس أكثر مما نشاهد بأبصارنا، وإذا كان النور دائماً مفرحاً، فإن لإضاءة الأنوار لدينا فى تلك الليلة معنى عميقاً للملابسات الآتية:

أولاً: إنه استمر أربع ليال مطفأ، وهذا معناه أن المعتدين ما يزالون يتحكمون فى الموقف.

ثانياً: إن الظلام أضفى على المنطقة جواً غريباً، بل ومخيفاً، إذ لم يعهد الناس أن تلك المنطقة التى كانت زاخرة بالحياة ليلها كنهارها حساً ومعنى، لم يعهد الناس فيها إظلاما ولا شبه إظلام.

ثالثاً: إن إطفاء الأنوار كان يعنى أن المسجد الحرام ما يزال أسيراً يتحكم فيه بغاة معتدون لم يرعوا لله حرمة، ولا للناس عهداً ولا ذمة لهذا كانت عودة " النور " إلى تلك الساحة بشير خير منح الطمأنينة لقلوبنا، والإبصار لأبصارنا، وأخذت –والله– تجرى فى عروقنا دماء جديدة، بل تتدفق تدفقاً، فيا لفرحتنا ويا لجلال تفاؤلنا فى تلك الليلة الخالدة التى لن ننساها ما حيينا.

ليلة البشريات

ظلت الأنوار مضاءة، وظلت عيوننا ترقب تلك الساحة الفسيحة، ما الذى سيحدث فيها بعد طلائع النور والبشرى، مرت ساعة، ثم جزء من الساعة، وفجأة ظهرت أمامنا كتائب التحرير من رجال الحرس الوطنى، ولكن فى هذه المرة يختلفون عن المرات السابقة التى أشرنا إليها من قبل. ففيها كانوا واحداً أو اثنين أو ثلاثة، لا يظهرون إلا ليلاً وتحت حماية الظلام، ووراء الجدران والسواتر.

أما فى هذه المرة فقد ظهروا بكثرة .. وتحت الأضواء الهائلة إذ أحالت " لأنوار " ليل تلك الساحة إلى " نهار وصفاء " ثم أخذوا مواقعهم حسب الخطة الموضوعة لهم من قيادتهم العسكرية والإدارية، أعينهم على الحرم الشريف، وأسلحتهم مصوبة فى تجاه المسجد، وبعضهم أخذ وضع

استعداد فاستلقى على الأرض ويده على زناد سلاحه، وسلاحه على مرتفع من الأرض، وكادت فرحتنا بالنصر تبلغ مداها، فمنذ قليـل كانـت هـذه المنطقة محرمة على العسكريين وغير العسكريين، حتى الحمـام " حمـام الحمى " ذلك الذى كان يملأ الأفق " الحرمى " ويرتع ويمرح حوله مختلطاً بالرائحين والغادين، ألفهم وألفوه، حتى ذاك " الحمام " كان قد هجـر تلـك المنطقة تماماً، بعد أن ظل اليومين الأولين من الاعتداء: الثلاثاء والأربعاء محتلاً لمواقعه حول المسجد يفزع فيطير إذا سمع تلك الأصوات المرعبـة من طلقات النيران، ويأمن فيهبط إذا هدأ دويها ..؟

ولما تكرر ترويعه وتخويفه اتخذ قراراً بالجلاء عن المنطقة عسـكر ذلك " الحمام " فوق أسطح المنازل والفنادق البعيدة نوعاً ما عن مصـادر الخطر.

بعد هذا كله فإن افتراش الجنود أرض الساحة عيانا جهاراً كان معناه عميقاً جداً فى النفوس، حبيباً جداً إلى القلوب، ومؤذناً بـأن " فـك أسـر المسجد الحرام " قد حان.

وتتابع البشريات فى تلك الليلـة فسـرعان مـا امـتلأت المنطقـة بالسيارات الرسمية " ناقلات جنود – سيارات نجدة – سيارات إسـعاف – عربات مصفحة – دبابات – حاملات مدفعية – سيارات تموين – سيارات بلدية – هكذا والله تتابعت هذه البشريات حتى لم تمر ساعة واحدة – تقريباً – بعد ظهور رجال الحرس الوطنى حتى عجت الساحة بالحركة وتحولـت إلى قلعة حصينة ما يقع تحت نظرنا منها ونحن ننظر من استراحة الفندق، شيء رهيب رهيب، فما بالك بامتداد الساحة حول المسجد الحرام كله، وما أعظم امتداد تلك الساحة رعاها الله وحفظها من كل سوء أبد الدهر .. ثـم

أخذ بعض قواد الفرق يعقدون اجتماعات سريعة بفرقهم، ثم تتجول عربة يبدو أن بها مسئولا كبيراً، وقد كنا نستنتج ذلك من نوعية الاستقبال وخاصة إذا كان الاستقبال يقوم به عسكريون.

بدأنا نحن نتنفس الصعداء، فهاهى ذى الساحة قد عادت إليها الحياة، وهى وإن كانت حياة من نوع خاص فإنها بشيرة بالحياة " الطبيعية " الوادعة والعسر دائماً يعقبه يسر.

أطعمنا من جوع

ومع هذه البشريات انحلت مشكلة معقدة بالغة التعقيد بالنسبة لنا نحن نزلاء الفندق، فقد مرت علينا الأيام الخمسة الماضية: من صباح الثلاثاء الأول من المحرم – بدء الاعتداء – إلى ليلة الأحد التى نتحدث الآن عنها، ونحن لم نذق طعاماً قط. إذ كنا نعيش على الأسودين التمر والماء ولا شيء غيرهما، فالمنطقة التى تحيط بنا ليس فيها شيء يباع قط. فقد أصبحت منطقة قفراء، وهى أشد ما تكون خصوبة، وغابت عنها الحياة، وهى أقوى ما تكون حياة، وقد تمثلت آنذاك قول الشاعر القديم:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس، ولم يسمر بمكة سامر

الشاعر يشكو حالة عابرة مرت به، وما كان يدريه أن حالتنا نحن أحق بشعره هذا من حالته تلك والتى أوحت له بأن يقول ما قال.

هذا هو شأن المنطقة المحيطة بنا .. أما المناطق التى تليها فعلى الرغم من وجود ما يباع ويشترى فيها فإن محاولة اختراق حزام الخطر

إليها كان خطراً، فالسير فى الشارع محظور، وقد حاول مساعد مدير الفندق أن يخترق ذلك الحزام عن طريق سطح عمارة مجاورة للفندق كان يقيم بها " مجاورون مغاربة " من طلاب العلم، ولما أحسوا به يتدلى من سطح عمارتهم أمسكو به وأصروا على أن يقدموه للشرطة على أنه " لص"، لولا أن تدخل الله بلطفه وتدبيره فأطعمنا من جوع وآمنا من خوف.

والحق يقال إن الإحساس بالجوع لم يعرف – والله – طريقه إلى نفوسنا، فالأحداث العامة كانت أكبر من كل الانفعالات، وفى الماء والتمر من بركة الله ما يقوتنا شهراً وشهرين أسوة برسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

الأمير .. والتفاح

أقول: انحلت تلك المشكلة، لأن مجرد احتلال القوات السعودية للمنطقة تواكبت عليهم عربات التموين، فظهرت صناديق كبيرة ممتلئة بالتفاح " الممتاز " منذ اللحظة الأولى بعد حلول القوات، والأفراد الذين كانوا يترددون على الفندق فى ساعات " العسرة " وكانوا يعرفون قصتنا، لم ينسونا قط فذهب أحدهم إلى " الأمير " وقص عليه قصتنا فأذن له الأمير بإعطائنا صندوقاً كاملاً .. ووعدنا بأن كل مدد تموينى سيأتى لهم سيكون لنا فيه نصيب معلوم.

وقد صدق .. فمنذ تلك الليلة أصبحنا نحن نزلاء الفندق يأتينا تموينا مع تموين القوات: إفطارا – وغداء – وعشاء، وبكميات وفيرة تسمن

وتغنى من جوع، وظل هذا النظام إلى أن انتهت الأزمة وعادت الحياة إلى مجراها المعهود، بل إن بعض متطلبات الحياة الأخرى كان الجنود يقومون بشرائها للنزلاء حتى لا يتعرض نزيل إذا هو غادر الفندق إلى متجر إلى الخطر أو المساءلة .. روح طيبة أبدوها نسجلها لهم فى صدق ونزاهة.

ولم نكد ننام تلك الليلة أملاً فى غد مشرق، وصبح بسام، وليس أدعى إلى يقظة الروح من بشريات النصر الكبرى التى داعبت النفوس، واهتزت لها كل القلوب.

وليس معنى هذا ان ليلة الأحد خلت من طلقات النار، لا والله بل كان هناك دوى ودوى، وخلاصة ما حققته قوات التطهير حتى هذه الليلة هو:

١- كسر شوكة المعتدين، وحصر شرهم فى حدود ضيقة.

٢- إعادة السيطرة على الدور الأول والثانى من المسجد الحرام وطرد المعتدين منهما.

٣- إعادة السيطرة على المنطقة المحيطة بالحرم وكفالة حرية التحرك فيها بالنسبة للرجال العسكريين.

فرق مختلفة .. هدفها واحد

وجاء صباح الأحد - اليوم السادس للاعتداء - وفتحنا أعيننا مع تفتح ضوء الشمس على الكون، فكان الذى يدور فى الساحة هو الآتى:

- رجال الحرس الوطنى مرابطون فى مواقعهم التى حددت لهم وهم مختارون من " البدو " لما يعرفون به من الإخلاص فى أداء الواجب وتقدير معنى الأمانة، وكنت تراهم متفاوتين فى الأعمار،

فمنهم الشيوخ المخضرمون، ومنهم الكهول الناضجون ومنهم الشباب الغض، وكلهم عرفوا بالحرص الشديد على احترام المسئولية.

- مجموعات من رجال الجيش تنتشر هنا وهناك، وكان الفرق واضحاً من "النوعين" فجنود الحرس الوطنى يرتدون " الجلباب الكاكى " مع لف خزينة السلاح حول وسطه، ويغطى رأسه بالغترة الحمراء التى تخلل لونها الأحمر نقط بيضاء كأنها نجوم لامعة فى سماء من عقيق.

أما رجال الجيش فيرتدون الزى الذى يرتديه رجال الجيش غالباً فى كل مكان من العالم: " البنطلون، والسترة، والبوريه على الرأس، ويحمل فى يده سلاحه المناسب: مدفعاً رشاشاً أو مسدساً أو هما معاً، أو تراه يسير وليس معه سلاح ظاهر للعيان.

- مجموعة من القوات الخاصة، وهى قليلة العدد بالنسبة للنوعين المذكورين " إنهم جماعات مختلفة " ولكن الهدف واحد.
- وظهرت بكثرة مجموعات من " عمال النظافة " بزيهم الأصفر، وكانوا يقومون بمجهود عنيف فى نظافة المنطقة خارج الحرم لم يتوقف أحد منهم لحظة، ودخلت مجموعات منهم إلى صحن الحرم نفسه بعد أن تم افتتاح أبواب الملك عبد العزيز، ولم يقتصر الوضع على تنظيف المنطقة مرة واحدة فى اليوم الواحد، بل كانت العمليات مستمرة ليلا ونهاراً.

- سيارات تابعة للصحة كانت تجوب المنطقة بين الحين والحين وترش الغازات المطهرة بكميات ضخمة حتى لتظن أن موجة كثيفة من الضباب قد خيمت على الكون فحجبت الرؤية، وكان بعض عمال الصحة يحملون أنابيب لرش الغاز في الأماكن المجاورة البعيدة عن الساحة، وظل الأمر كذلك حتى نهاية المأساة.
- ونشطت سيارات تابعة لنظام المرور تطهر المنطقة من السيارات التى هجرها أصحابها بعد الحادث، أو تعطلت بأيدى المعتدين، أو كانت تابعة لهم حضروا بها فجر الاعتداء ثم تركوها وكثيراً ما رأينا سيارات "الأوناش" قد علقت مقدم " السيارة " فى طرف " الونش " ثم سحبتها خلفها وهى تجرى كأنها الريح، وكانت تقف بجوار الفندق الذى تقيم فيه "سيارة" منذ يوم الحادث وحتى جاء الدور عليها لتسحب، راعنى من قائد سيارة الونش دخوله علينا الفندق وسؤاله إيانا هل السيارة التى تقف هنا تابعة لأحد منكم، فأجابه مدير الفندق بالنفى .. وبعدها خرج وسحب السيارة مادام قد تأكد أنها مجهولة المالك.
- وظهر فى الساحة رجال مدنيون يلبسون " الجلباب " الأبيض والغترة الحمراء أو البيضاء على الرأس مصحوبة بالعقال حيناً ومنفردة حيناً آخر، وهم كما قيل لنا إما من رجال المخابرات أو مدنيين لهم مهام وظيفية يؤدونها فى الساحة المحرمة.

- وبالإضافة إلى ما تقدم فقد كانت المنطقة معرضاً لحركة من النشاط المختلف المصدر المتحد الغاية، ولو سجلت تلك الأعمال فى فيلم تليفزيونى لما زهد أحد فى الدنيا فى مشاهدته المرة تلو الأخرى.
- هذا ولا ننسى صورة أخرى من النشاط وهى سيارات التموين التى كانت تظهر ثلاث مرات فى اليوم: المرة الأولى فى الصباح لتوزيع وجبة الإفطار، ويبدو أن الذى كان يقوم بإعداده شركة الطيران السعودية إذ هو صورة طبق الأصل من الوجبة " الخفيفة " التى تقدمها شركة الطيران السعودية لضيوفها فى الجو، فهى عبارة عن علبة مغلقة بغلاف شفاف محكم ومحتوياتها: رغيف خبز صغير، قطعتا لحم بوفتيك مع قليل من الصلصة، كوب ورقى مقوى به مقدار من سلاطة الطحينة، باكو زبدة صغير، ثمرة واحدة من ثمرات التفاح، أما الغداء فكان الغالب هو "الكبسة" وهى وجبة مشهورة جداً فى السعودية، وتتكون من الأرز المفلفل المضاف إليه قليل من الصلصة، ثم الفراخ المشوية واسمه المشهور هنا هو "الدجاج" ومعه بعض الفواكه كذلك.

أما العشاء فقد يكون كالإفطار تماماً، أو يتكون من الفول المدمس المعروف، وقد أشرت من قبل إلى أننا – أعنى نزلاء الفندق قد انتظم تموينننا من الوجبات الغذائية كانتظامه لأفراد القوات سواء بسواء حتى انكشفت الغمة، وما نزال نحس بالمشاعر الطيبة التى عشناها فى تلك الأيام من الخلق الإسلامى الودود الذى لمسنا أثره قولاً وفعلاً.

أما وصف الحال الذى كان عليها الحرم الشريف من الداخل فقد تـم حتى هذه اللحظة – الأحد السادس من المحرم – تطهيـر الـدورين الأول والثانى من الحرم، كما تم تطهير صحن الحرم واضطر البغـاة المعتـدون إلى النزول إلى " قبو الحرم " السفلى فتحصنوا به مع بقاء بعـض نقطهـم القوية بالمآذن، وخاصة المئذنتين الواقعتين بجـوار أبـواب الملـك عبـد العزيز، إذ مازالت تلك النقطة تقام بشراسة ورعونة، وقد تعرضـت تلـك المئذنتان لموجات من المد والجزر العنيف من كلا الجانبين، وبلغ القتـال عندهما مداه، فكانت النيران تصب فيهما صباً من قـوات التطهيـر مـن الخارج، وكانت الطلقات تنبعث منها من البغاة المعتدين طيلة ضحى الأحد، وما رأيت – على كثرة ما رأيت – قتالاً عنيفاً دار حول موقع من مواقـع الحرم، كما دار حول هاتين المئذنتين، وهنا أعود فـأذكرك بمـا سـبقت الإشارة إليه من حديث تلك المرأة التى ظلت تتحدث مـن منتصـف ليلـة الاعتداء إلى إشراقة فجره، تتحدث لغير سامع، وبلغة لم أفهمها وهى تجلس وحيدة على الرصيف المنصف للشارع المجاور للحرم الشريف من جهـة أبواب الوداع والهجرة وأم هانئ وأبى بكر، وكانت فى جلستها تلك تركـز نظرها بشدة عى تينك المئذنتين، فهل كانت تلك المرأة تنظر لتلك الأحداث التى دارت – حول تينك المئذنتين الشامختين .. ؟! نعم إن الغيب لا يعلمه إلا الله ولكن حين يقوى إيمان المؤمن فإن قوة إيمانه تكسبه فراسة ينظـر بها بنور الله، ومع هذا فإن حديثها سيظل لغزاً لا يعلـم سـره إلا عـلام

الغيوب، أما نحن فما ظن إلا ظناً، وما شهدنا إلا بما علمنا، وما كنا للغيب حافظين.

قوات التطهير تنذر

وكانت القيادة العسكرية قد بدأت ضحى الأحد بنـــداء وجهتـــه إلـــى عصابة المعتدين وهذه هى صيغته:

- إلى جميع من بالسرداب – يعنى قبو الحرم – نحـــذركم حفاظـــاً على أرواحكم واستمرارا لبقائكم: " أن ترفعوا أيـــديكم، وتلقـــوا أسلحتكم مستسلمين، وإلا فلدينا ما يجبركم عليه بـــالقوة، فعلـــيكم بالاستسلام فوراً، والتوجه إلى صحن الحرم الشريف ومن استسلم منكم فله الأمان، هذا ما ندعوكم إليه والله ولى التوفيق ".

كان هذا النداء يردده رجال عسكريون بواسطة مكبـــرات الصـــوت، وهم يسيرون بسيارات " جيب " صغيرة حول الحرم، يبدأ النداء من موقع، ثم يدول حول الحرم كله حتى يعود إلى الموقع الذى بدا منه، ثم يســـتأنف دورة جديدة، وكان عدد غير قليل من رجال القوات السعودية يقوم بـــإبلاغ هذا النداء فى سرب من السيارات الواحدة وراء الأخرى، ولكثرة ما تـــردد هذا النداء فقد حفظت صيغته عن طريق السماع، وظل محفوظاً عندى حتى سجلته فى هذه المذكرات بعد وقوعه بشهرين كاملين حيث لم يســـبق فـــى تدوينه فى غير الذاكرة قط.

ويبدو أن القوات قد سلكت هذا المسلك استجابة لتعليمات القيادة السياسية العليا التى قد أشرنا إليها من قبل، ومنها محاولة القبض على المعتدين أحياء.

وأياً كان الباعث فقد أعطى هذا النداء للمعتدين فرصتهم. ولكنهم رفضوها .. لأننا لم نر واحداً منهم قد استجاب لهذا النداء ساعة صدوره، وإن تردد فيما بعد أن مجموعة منهم، قد استسلموا .. صحيح أن هناك عمليات استسلام وقعت أمام أعيننا، ولكن لم تقع يوم الأحد، بل بعده وسوف نشير إليها فى حينها.

مقذوفة كأنها الزلزال

ولما لم يستجب المعتدون للاستسلام واصلت قوات التطهير مهمتها، وركزت على تصفية " الجيب " المرابط بالمئذنتين المجاورتين لأبواب الملك عبد العزيز، وأشتد القتال إلى درجة كبيرة بعد الثامنة من ليلة الاثنين السابع من المحرم، وأخذت القذائف تأتى من الخارج لتصب فى المئذنتين بواسطة المنافذ التى فيهما، وبدأ " الجيب " المراد تصفيته يقاوم بعنف وعلا دور النار علوا كبيراً وقبيل التاسعة بقليل انفجرت مقذوفة نارية ضخمة جداً شاهدنا لهيباً يقتحم علينا مدخل الفندق، ثم حدث ما يشبه الزلزال الشديد، فترتعش جدران الفندق ويتساقط زجاج نوافذه بعد أن أحدث موجة من الصوت المتتابع كان مرقصا أخذ كل من فيه يرقص ويدق بالصنجات، بل إن زجاج الغرف الداخلية تساقط وأخذ يتناثر فوق رءوسنا ونحن جلوس، بل وقد أصاب بعضنا ولكن بإصابات طفيفة، وتجمعنا فى فناء

الفندق حتى الحاجات المغربية والباكستانيتان هرعن إلى الفنـــاء، وظللـــن الليل كله به، النساء ينمن فى موضع، ونحن الرجال فى موضع آخر مـــن نفس الفناء، وليس هناك من ساتر سوى ساتر الإيمـــان وتقـــوى القلـــوب وصدق الشاعر الذى يقول:

إن المصائب يجمعن المصابينا

تناثر الزجاج على الأرض فأصبح السير فيها خطراً، ولو سرت فيها منتعلاً، وقطعت حرارة التليفون، كما قطعت الطاقة الكهربائية وتبع ذلـــك توقع انقطاع المياه عن الفندق، لأنه لا يجرى فى " الصنابير " إلا بعد رفعه من الخزان الأرضى بواسطة " الموتور " وهل يعمل موتور بدون كهرباء، ومن تلك اللحظة أصدر مدير الفندق إرشـــاداته بـــأن لا يســـتعمل المـــاء الموجود بالخزان العلوى إلا فى شئون "الطهارة " والوضوء، والشـــراب، وإلا تعرضنا لأزمة، لأن الماء المخزون – فعلاً – قليل العوض .. ؟!

عُزلة مُحكمة

ولكل من هذه المرافق التى تعطلت مشكلة، تترتب عليها، فـــالتليفون كان لا يتوقف عن الرنين والطالبون يعرفون موقع الفندق من الحرم فكانوا يتصلون بمديره من كل مكان للاطمئنان على الحرم الشريف، مـــن جـــدة، والمدينة المنورة، وبريدة، والطائف .. إلخ .. والجنود كانوا يطلبون عـــن طريقه أسرهم فيطمئنونهم عن الحرم وعن أنفسهم ويبشـــرونهم بالنصـــر، وبسكوت التليفون زادت عزلتنا إحكاماً، وسكت من حولنا كل شىء.

وأما الماء فالله تعالى قال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (الأنبياء:٣٠) وهل يستغنى مسلم حى عن الماء فيهمل العبادة الواجبة عليه، ويقتله الظمأ ..؟

بتنا تلك الليلة – ليلة الاثنين السابع من المحرم ما بين نوم متقطع، وسهر غالب، وراعنا فى فجر يوم الاثنين أن المرابطين فى المنطقة المحيطة بالحرم يقوم أحدهم فيؤذن أذان الفجر، ويؤم رفاقه وهم فى ساحة القتال، والعدو ما يزال مستمراً فى عمليات المقاومة، ولم يقتصر الأذان على فجر يوم الاثنين ولا على الصلاة جماعة فى الساحة المكشوفة، بل ظل هذا النظام مستمراً حتى آخر يوم من الأزمة، إذا حضرت الصلاة أذن مؤذن، ثم وقف إماما ووراءه الجنود يصلون مأمومين، وكانت فى بعض الأحيان طلقات النار تدوى فوق الرءوس، ولكن دويها لم يمنع الجنود من الأذان للصلاة وأدائها جماعة على مرأى ومسمع – ربما – حتى من العدو.

صورة طيبة كانت تغمرنى بالسرور فلا خير فى جيش يهمل العبادة ولا نصر على يديه، فما النصر إلاَ من عند الله العزيز الحكيم وهو مشروط بشروط:

- أن يهبه الله للمؤمن: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم:٤٧).
- وان يكون ذلك المؤمن ناصرا لله: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج: ٤٠).

ونصر الله لا يكون إلا بطاعته، والجهاد من أجله، وإن فى ذلك لدرساً مفيداً يحتذى، فالمحافظة على الصلاة مطلوبة شرعاً ولو فى ميدان

القتال لقوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً .. ﴾ (النساء: ١٠٢)

الإسلام لم يكتف بأن يطالب الجنود بأداء الصلاة – مطلق أداء – وهم رباط فى الميدان، بل حثهم على أدائها جماعة على الكيفية المفصلة فى كتب الفقه والتفسير.

ويروى أن عمر بن الخطاب – رضى الله تعالى عنه – بعث إلى عمرو بن العاص بقوله: " آمر جندك بأداء الصلاة .. وكان عمرو بن العاص قد بعث إليه برسالة يشكو له فيها استبطاء النصر وهو فى حروبه مع الروم فى مصر ومن قبلها فلسطين والشام، ولما أنفذ عمرو بن العاص وصية عمر بن الخطاب جاء نصر الله والفتح.

* * *

أشرقت شمس يوم الاثنين السابع من المحرم، وكنا مكلفين بالذهاب إلى الجامعة .. ولكن كيف يكون الخروج من الحصر الذى نحن فيه، أبدينا رغبتنا إلى أحد الجنود فصحبنا إلى " أمير " الفرقة التى ترابط بجوار الفندق، فعرفناه بموضوعنا وبعد الاطلاع على بطاقتى الإقامة قال: لا مانع عندى .. ثم نظر إلى أحدنا وكان مصاباً إصابة طفيفة أثرها ظاهر فى وجهه، وخشى أن تشتبه فيه بقية " نقط المراقبة " الممتدة على الطريق .. ولكننا اعتمدنا على الله وأخذنا نجوب الطريق وسط أعداد هائلة من الجنود، وكلما مررنا على نقطة مراقبة استوقفتنا واستوثقت منا واطلعت

على محتويات حقيبتي أيدينا، وقد اخترقنا حاجز الرقابة حتى وصلنا إلى المكان المسموح فيه بمرور السيارات، ويطلق على ذلك المكان اسم " الحفائر " ولم نعد للمبيت بالفندق ليلة الثلاثاء، فقد أمسك بنا زميل مصرى معار مثلنا لنفس جامعة الملك عبد العزيز، وكان يقيم فى منطقة نائية عن الأحداث، وأصر الزميل على البيات عنده حتى تزول الغمة، أو نحصل على سكن مريح ولكننا لم نجبه إلا لبيات ليلة واحدة، قائلين له إن الأوضاع قد هدأت فلا داعى للقلق.

* * *

وقبيل الظهر من يوم الثلاثاء الثامن من المحرم عزمت على العودة للفندق الذى أقيم فيه وسط الأحداث، فأشرت إلى سيارة أجرة، وسألنى السائق أين تبغى؟

قلت: الحرم.

قال: لا " ممنوع، فاستدركت قائلا: وصلنى إلى أقرب مكان منه مسموح الوصول إليه، فوافق، وكان المفروض حسب خط السير أن يسير فى الاتجاه " الطوالى" ولكنه سلك طريقاً جانبياً لعدم السماح بالاتجاه الطوالى، وفجأة توقف وطلب منى النزول قائلاً " المكان هذا آخر ما يمكن " قلت له ما يزال الحرم بعيداً جداً وها نحن نرى السيارات تسير فعلام وقوفك هنا. فأصر على الوقوف وهنا كانت ستحدث بالنسبة لى أزمة لو وافقته ونزلت، وذلك لأن الطقس كان حاراً جداً.

ولأننى لن أهتدى إلى الطريق الموصل للحرم الشريف لو سرت على قدمى لأنه سار بى فى طريق غير معروف لى، لا أدرى أين أنا من المحرم؟ وأين الحرم منى.؟

وليس من الميسور أن أجد سيارة أخرى تقبل عرضي الوصول إلـى الحرم، ونحن في هذا المكان.

دعوت الله أن يهديه، وأبصرت وأبصر هو معي جندي المرور يشير بيده للسيارات أن تتقدم فتواصل سيرها بلا توقف، فانتهزت هذه الفرصـة وقلت له:

ألم تر رجل المرور يؤذن لنا بالسير، فهل معقول أن يكـون السـير ممنوعاً وهو لا يدري.؟

قال: وماذا تريد بعد ذلك .. قلت بالأمس أخذت سيارة أجـرة مـن منطقة " الحفائر " وهي قريبة من الحرم، فلتكن وجهتنا إلى هناك.

قال: لا .. ولكن سأقربك منها، ثم أستأنف السير فحمدت الله، وشـاء الله أن يبدأ في الحديث معي عن " المهدي " بعد أن عرف أني مقيم بجوار الحرم ومدرس بالجامعة .. وكان مما جرى بيننا من حديث: هل " المهدي " سيكون من الأحياء، أم هو رجل قد مات ولابـد أن يعـود كمـا يعتقـد الشيعة.؟

وكان جوابي على الشق الثاني: إن عودة الأموات أحياء قبـل يـوم القيامة كان نوعاً من المعجزات المادية ظهرت في حينها، أما الآن، وبعـد الإسلام، فإن معجزة القرآن كافية في هداية الناس إلى الخالق، ولم نسـمع أن ميتاً عاد إلى الحياة ونحن في القرن الرابع عشـر مـن بـدء ظهـور الإسلام.

وهنا ثارت ثائرته قائلاً: ومن قال إن الأموات لا يعودون أنا أعرف رجلاً كان قد مات في حادث صدمته سيارة ظلماً وغسل وكفـن وصـلى

عليه، وظل فى قبره سنتين، وبعدها فوجئ أهله أنه يدخل عليهم بعد أن قام من قبره وعليه ملابس كفنه ؟؟ قلت له: وهل رأيته ؟

قال: نعم لكنه ينظر ولا يتكلم أبداً وما يزال موجوداً عند أهله على هذه الحالة منذ أربع سنوات ..؟!

ولمست من نبرات حديثه أنه يستلذ الكلام حول هذه الواقعة فرحت ألاحقه بالأسئلة ليجيب عنها وينسيه الحديث أمر الوقوف الذى وعد به، فكل ثانية يسير بى فيها لى فيها ربح .. ألاحقه بالأسئلة السؤال تلو السؤال وأنا أدرك فى قرارة نفسى أن ما يقوله خرافة أو هو شيء أقل من الخرافة شأناً، لأن ما يقوله مخالف لسنة الله فى الناس، ولأن ما يقوله لو كان حقاً لكان حديث العالم كله ولعرضته شاشات التليفزيون فى كل بقاع الأرض، ولجعلت له الصحف باباً ثابتاً تتابع فيه أخباره أولاً بأول، ولما كان خبر ذلك الميت الذى عاد وقفاً على هذا " السائق " وحده أو على حفنة من الناس، ويغيب خبره عن الجميع حتى على أبناء بلده. ؟!

وفعلاً لم يفق صاحب السيارة من حديثه أياى المستطاب لديه حتى أشرت عليه بالوقوف قائلاً: هاهى ذى " الحفائر " شكراً .. !

ورحلة على الأقدام

ومن الحفائر سرت مترجلاً قاصداً " مأواى " بجوار الحرم الشريف، وكلما تقدمت كنت أرى عدد "الجنود"المرابطين يزداد، ويزداد، ولكن أحداً منهم لم يسألنى إلى أين تذهب، فكنت أحمد الله فى خطوة أخطوها، فقد كان

أمر الخروج من المنطقة " سهلا " ولكن العودة إليها " محظورة " سـرت، وسرت، حتى أبصرت مآذن الحرم الشريف، ورأيت جدرانه وكـان قـاب قوسين أو أدنى، وبينما أنا أخطو إذا بصوت أسمعه يقول: " يا ولـد .. يـا ولد " فأدركت أنه يعنينى، فالتفت نحوه فإذا بى أرى جنديا صغيرا يجلـس على ناصية وسلاحه بيده وعمرى أكثر من ضعفى عمره .. ولم أغضـب لمناداته لى بـ " يا ولد .. " حيث قد علمت أنها كلمـة بريئـة ولا تعنـى الإهانة لمن ينادى بها، فهى كلمة نداء جرى العرف بها ينادى بهـا علـى الرجال الذين هم فوق مرحلة الشبيبة، ودون مرحلة الشيخوخة.

قلت له: نعم ..

قال: فين تبغى، فعرفته بقصتى، فأشار بيـده: ارجـع مـن هنـا .. فوجدتنى مأمورا بالسير فى شارع ضيق يبعدنى عن الحرم .. سرت فيـه وأنا لم أفقه تماما ما معنى الأمر الصادر لى بالسير فيه.

بعد عشرات الخطوات أبصرت جنودا يقفون بمدخل شارع أضـيق متفرع من هذا الشارع الضيق، فتوجهت نحوهم قائلا فى نفسى، هل هؤلاء هم الذين مختصون بإعطاء الإذن فى الدخول.

وقبل أن أصل إليهم إذا بشاب يرتدى الزى العربى ويجلس بجوارهم يشير علىّ بأن أقدم عليه، فقدمت وسألنى من أنت، عرفته بنفسى وبعملـى، قال وهل معك إقامة؟. فعرضت عليه إقامتى، قال: وأين تبغى. قلت: الفندق الذى أقيم فيه بجوار الحرم .. ثم تناول منى حقيبة يدى وفتحها واطمأن، ثم أذن لى بالدخول مشيرا إلى الجنود أن يفسحوا لى الطريق، وعلى امتـداد البصر رأيت جنودا آخرين فخشيت أن يعترضونى، فعدت إليه مرة أخرى وطلبت منه أن يعطينى " تأشيرة " دخول أقدمها لمن يهمه الأمـر. ابتسـم

وقال: لن يسألك أحد بعدى أبداً، سر ويعينك الله .. استبشرت بهذه الكلمة وزادت خطواتى وثوقاً إلى الإمام .. وعند اقترابى من " مداخل " الحرم الشريف وجدتنى أسير وسط حشود هائلة من الجنود مختلفى الرتب، وأبيت أن أسير فى وسط الشارع إذ لم يكن أحد من المدنيين يسير غيرى، وسيرى فى وسط الشارع قد يلقى علىَّ شبهات، ولذا تعمدت أن أسير وسط الجنود الذين لم يخل منهم مكان على الرصيف: حرس وطنى، ورجال جيش، وقوات أمن وكم حمدت الله وأنا أدخل الفندق، ولم أكد أصدق أننى فعلاً قد وصلت إليه، فهو القريب البعيد فى آن واحد.

بعض المعتدين يستسلمون

وما كدت أجلس فى " بهو " الفندق حتى أبصرت حركة غير عادية بين قوات التطهير وسمعت أصواتاً تعلو، وأبصرنا شاباً من المعتدين يقفز من إحدى نوافذ الحرم الشريف، معلقاً سلاحه فى كتفه رافعاً يدية مهرولاً نحو قوات التطهير معلناً استسلامه، وسرعان ما التف حوله الجنود وأمسكوا به ثم رحلوه .. وحدث بعد هذا أن استسلم اثنان آخران بعده فيما شاهدناه نحن من الجهة المقابلة لنا.

والمعروف أن وقائع هذا الاستسلام كانت تحدث فردية، لأن قادة المعتدين كانوا يحظرون الاستسلام على أتباعهم، بل ويقتلون من يرون لديه حب الاستسلام، ولهذا فإننا يمكن أن نقول إن الفارٌ منهم للاستسلام كان يخشى قادة الاعتداء أكثر من خشيته قوات التطهير، لأن قادته لو

أبصروه مستسلماً لقتلوه فى الحال، أما قوات التطهير فستبقى عليه حياً – ولو إلى حين – حتى يحكم القضاء على أمره.

والموت المتوقع، بعد حين أهون من الموت الحال.؟!

والملاحظ لنا حتى الآن – الثلاثاء الثامن من المحرم – أن المعتدين اضطروا – أمام مطاردة قوات التطهير – إلى الزحف إلى " قبو " الحرم الشريف، وأخلوا كل مواقعهم التى كانوا متمركزين بها فى الدورين العلويين، كما أخلو جيوبهم فى المآذن، وأصبحت قوات التطهير حرة الحركة داخل وخارج الحرم الشريف، وكانت القوات السعودية الموكول إليها تطهير الحرم تقوم بعمل نوبات بين الجنود، فرق ترحل وأخرى تحل محلها، وبخاصة فى قوات الحرس الوطنى ذات الأعداد الهائلة، ولكن الحرم مازال محظوراً دخوله لغير العسكريين وعمال النظافة وآخرين كانوا يقومون ببعض المهمات داخل الحرم.

ظاهرتان مختلفتان

ومما تجدر الإشارة إليه أن ظاهرتين قد لمسناهما مختلفتين كل الاختلاف الظاهرة الأولى كنت تقرأها فى الصحف، وتسمعها فى وسائل الإعلام "الراديو" وخاصة فى الإذاعات الأجنبية، صحيح أن إذاعة المملكة العربية السعودية كانت لا تذيع إلا البيانات الرسمية، وكذلك التليفزيون، فإذا لم تكن بيانات فالصمت هو الغالب " اللهم إلا أحاديث العلماء التى تستنكر هذه الواقعة وتبين شناعة الجرم فيها ".

أما الصحافة فقد كانت تسبق الأحداث، ويكفى فى تأكيد هذه الظاهرة أن إحدى الصحف طلعت على قرائها بنبأ أبرزته على صفحتها الأولى يوم الاثنين السابع من المحرم مؤداه أن المهدى المزعوم قد تم القبض عليه ومعه – بداخل الحرم – زوجه وأخته، ثم جاءت البيانات الرسمية بعد ذلك بثمانية أيام تؤكد أنه – أى المهدى – قد قتل فى عمليات الاقتحام الأخير..؟!

كما أذاع راديو لندن يوم الجمعة الرابع من المحرم أن الفتنة التى وقعت فى الحرم قد تم القضاء عليها نهائياً وأردف المذيع يقول إن فتنة الحرم قد استمرت قبل القضاء عليها ثلاثاً وتسعين ساعة، ولما كنا نراقب عن كثب سير الأحداث فإننا كنا نرى أن الحقيقة شىء، وأن ما تنشره الصحف، وما تتناقله بعض الإذاعات شىء آخر.

أما الظاهرة الثانية فهى البيانات الرسمية، وقبل القضاء على الفتنة كانت تلك البيانات تصدر إما عن وزير الإعلام السعودى الدكتور عبده يمانى، وإما عن بعض القادة العسكريين، وهذه البيانات كانت تستلزم عرض الحقيقة كما هى، حتى أن الدكتور عبده يمانى ناشد وسائل الإعلام فى حديث تليفزيونى أذاعه تليفزيون الرياض ليلة الثلاثاء الثامن من المحرم، ناشد فيه وسائل الإعلام أن تلتزم بالحقيقة ولا تتسرع فى نشر أشياء عن مجرى الأحداث فى الحرم لا أساس لها من الصحة.

ويعلم الله أننا كنا نستريح لمثل هذه البيانات لأنه لا شىء أجمل من الأمانة والتمسك بالصدق ولو كان مراً.

وإذا تجاوزنا هذا فإننا منذ الثلاثاء الثامن من المحرم أمـــام مرحلـــة رابعة وطويلة من مراحل عمليات المطاردة والتطهير وتمتاز هذه المرحلة بأن المعتدين قد دحروا وضاق الخنـــاق حـــولهم، فهـــاهم الآن يعيشـــون معزولين فى " قبو " الحرم، سدت عليهم كثير من المنافــذ، ولكـــنهم مـــا يزالون خطراً داهماً لا أمان داخل الحرم حتى يطهر منهم " القبو ".

المرحلة الرابعة

وفى هذه المرحلة الرابعة استعملت ثلاث وســـائل فـــى المطـــاردة فضرب النار لم يتوقف وإن بدا على نوبات، **وهذه هى الوسيلة الأولى.**

أما الثانية: فهى مضايقتهم بإطلاق الماء عليهم علهم يفكـــرون فـــى الخروج والاستسلام.

والثالثة: الاستعانة فى تحقيق هذا الهدف باستعمال الغازات .. وبدت هذه الوسيلة تستعمل على نوبات حيناً بعد حين.

ولكن كل هذه الوسائل لم تحقق الهدف الأسمى، وكاد صـــبرنا ينفـــد أمام "استماتة" هؤلاء المعتدين، فكيف يعيش إنسان وهو معزول عن الحياة " تحت الأرض " يخيم عليه الظلام من فوقه ومن تحته، وعـــن يمينـــه إن كانت له يمين، وعن شماله، والقوات تحاصره من كل مكان، والماء يســـيل تحته، والنار تدوى فى أذنيه والهواء الفاسد طعامه وشرابه.

وكان الذى يحزننا أننا لا نسمع أذاناً فى الحرم، ولا تقام فيه صـــلاة، ولا يؤدى حول كعبته طواف.

ويعلم الله – كذلك – أننى كلما اشتد بى الضيق من أجل تعطيل الحرم وصد عباد الله عنه قفزت إلى مشاعرى تلك الرؤيا التى أريتها قبل الحادث بيومين – تقريباً – والتى تتمثل فى الطائرة الخضراء التى اضطربت فوق أجواء الحرم حتى كادت تسقط ثم سرعان ما اعتدلت وواصلت سيرها بسلام آمن.؟!

كانت تلك الرؤيا كلما تذكرتها سرت فى نفسى القلقة موجة من الاطمئنان مستوحاة من رموز الرؤيا نفسها، فاضطراب الطائرة ثم اعتدالها كان معناه–عندى– أو هكذا فهمت أن الأمور داخل الحرم ستعود كما كانت، وسيفتح الحرم أبوابه لقاصديه من الطائفين والعاكفين والركع السجود، وأن الذى نراه الآن ما هو إلا سحابة ركماء سرعان ما تنقشع.

وفهمت من كون الطائرة خضراء اللون أن الأمان هو المعنى به، فاللون الأخضر هو رمز إقبال الحياة وقيامها كما يرى بعض الفلاسفة المعاصرين، وهو عندهم أكثر الألوان بشراً حتى من اللون الأبيض، لم أر لتلك الرؤيا تفسيراً غير هذا، فكان ذلك مدعاة للاطمئنان كلما استبد بى القلق.

* * *

استمرت هذه المرحلة بوسائلها الثلاث الأربعاء والخميس والجمعة والسبت، وفى ضحى السبت الثانى عشر من المحرم كان لابد لنا من الذهاب إلى الجامعة، فطلبنا الإذن من أحد الجنود الموجودين قريباً من الفندق، فقال إنه لا يملك أن يسمح لنا بالخروج .. ثم انصرف، ولكنه عاد ومعه " ضابط " من رؤساء الفرق وسألنا لماذا نريد الخروج ..

قصصنا عليه القصة فأذن لنا بعد التأكد من صحة ما قلنا .. وفى الطريق استوقفنا مرات لمعرفة " هويتنا " ومن أين جئنا وإلى أين نذهب وبخروجنا من الفندق لم يكن فيه إلا شاب صغير هو مساعد مدير الفندق، أما المدير فقد سافر فى مهمة عائلية إلى القاهرة .. وأما الأسرتان الباكستانية والمغربية فقد أذنت لهما السلطات بالخروج للسفر إلى بلادهم، فهم من بقايا " الحجاج " الذين تأخرت عودتهم إلى بلادهم بسبب تلك الأحداث المؤلمة.

بكاء من أجل الحبيب

والشيء بالشيء يذكر، فقد شاهدنا عصر يوم أحد الحجاج الباكستانيين يبكى بشدة ويختنق صوته، وهو يعمل بسلاح المدفعية فى جيش بلاده، سألناه عن سبب بكائه فلم يستطع أن يجيبنا لاختناقه بالبكاء، ولأنه لا يعرف من اللغة العربية إلا كلمات لا تسمن ولا تغنى من جوع.

فظننا أن السبب هو عدم السماح له بالسفر، أو أن ألم ظهره قد اشتد عليه – وكان يشكو من ألم فى ظهره – ولكن شقيقه الأصغر منه فسر لنا السبب فقال بلغة عربية ملحونة: إننا لم نزر الرسول – عليه الصلاة والسلام – حتى الآن، وكان المفروض أن نذهب إلى المدينة منذ سبعة أيام، وأخى يبكى الآن لأنه يخشى أن نعود إلى الباكستان ولا يسمح لنا بزيارة الرسول – عليه الصلاة والسلام – فى المدينة.؟!

إنه شعور محب صادق، خشى أن لا يؤذن له فى زيارة مـــن يحـــب فظل ينتحب أشد ما يكون النحيب، ولم يحرم الله المحب من زيارة من أحبه فكان له ولهم ما قصدوا، فما أعظم الإيمان، وما أكرم المؤمنين عند الله.؟

* * *

عدنا مغرب يوم السبت الثانى عشر من المحرم إلى الفندق، فرفضت القوات المرابطة عبورنا إليه مهما أبدينا من أعذار، ولكننا سرنا فى بعض الطرق الضيقة المأذون بالسير فيها إلى قدر معلوم، وفجأة وجـــدنا أنفســـنا أمام من يعرف " مشكلتنا " من الجنود القريبين من موقع الأحداث، فـــأذنوا لنا بالدخول، وما جاوزناهم ببضع خطوات حتى واجهنا موجة شديدة مـــن الغازات كادت تخنق أنفاسنا فى حلوقنا، وكل الجنود يضعون على وجوههم " كمامات واقية " أما زميلى فقد عاد أدراجه مرة أخرى ولم يجـــرؤ علـــى مواجهة الغازات لشعوره بحساسية شديدة نحوها، وأخـــذت طريقـــى إلـــى الفندق، وتوا صعدت إلى غرفتى، وأغلقت كل منافذها وأحكمـــت الثغـــور بكميات من الورق والملابس، الغرفة مظلمة لانقطاع النـــور كمـــا تقـــدم، مراوحها لا تعمل وكذلك " الكونديشن " وكان يمكن أن يخففـــا مـــن حـــدة الغازات لو كانا يعملان..؟

مكثت مقداراً من الزمن، فصعد إلىَّ مساعد المدير الوحيد المقيم فـــى الفندق، ولو وجد فراراً لفر، قال جئت لأطمئن عليك لأنى خشيت أن يكون قد أصابك ضرر ..؟

وشاء الله أن تخف الحدة وأن تتوقف الغازات، حتى منتصف الليـل، وغشانى الله النعاس أمنة منه، ولكن فى الساعة الواحـدة والنصـف بعـد منتصف الليل، وكنت ببهو الفندق المحطم الزجاج، صحوت فزعـاً وأنـا عاجز عن التنفس، لأن الغازات كانت قد عادت من جديـد أكثـر عنفـاً، حاولت تحاشيها بما ملكت يدى ولكن بدون جدوى.

وأبصرت مساعد المدير يرقد بلا حراك، فتقدمت منه أتحسس حالته، فلما رأيته يتنفس وهو يتقلب يميناً وشمالاً خاطبته قائلا: محمـود، فأجـاب نعم، قلت: ما الحل .؟ قال هيا بنا نذهب إلى إحدى الغرف لعلها تكون آمن من هذا المكان، ثم أعطانى كمامة واقية كان الجنود قد أعطوها له ومعهـا أخرى لاستعمالها عند الحاجة، استعملتها فلم تغن شيئا، جربنا أكثـر مـن غرفة فلم نجد ملجأ، فما نصنع؟

أنفر فى هذا الوقت ونخرج من الفندق إلى مكان بعيد .. إن الفـرار فى هذا الوقت وتحت هذه الظروف سيثير حولنا شبهات وشبهات؟ أنظـل فى مكاننا هكذا ..؟ وفى هذا تعرض لخطر داهم .. إنه مأزق لن يخرجنـا منه إلا الله.

لجأنا إلى غرفة بلا اختيار، وسددنا ثغورها .. وجاء الله بـالمخرج، فقد غشانا النعاس مرة أخرى حتى مطلع النهار، وأخذت أفكر فى الواجـب المنوط بى، فإجراءات الأمن حول المنطقة مشددة، وهذا قـد يحـول دون ذهابى غداً " الاثنين " إلى الجامعة، وفى هذا إخلال من جانبى بالمسئولية، إذن فلأحاول الخروج من الآن استعداداً للعمل غـداً، ونجحـت المحاولـة وشاء الله أن أجد مسكناً فى منتصف المسافة بين الحرم الشـريف وموقـع العمل، وكنت فى اليوم التالى " الاثنين " قد سمعت أخباراً أفرحتنى بنصـر

الله المرتقب الذى قدر الله له أن يتم فيما يمكن أن نطلق عليه اسم " المرحلة الخامسة " من مراحل التطهير.

المرحلة الخامسة .. الحاسمة

لقد مارست قوات التطهير ضروباً عدة فى مطاردتها للمعتدين على حسب ما بيننا فى المراحل السابقة، وكانت خلالها تنتقل من نجاح إلى نجاح، لكن المرحلة الرابعة لم تؤد إلى المقصود منها وهو استسلام البقية الباقية التى لجأت إلى " القبو " وقالت للدنيا " عليك السلام " وما ألجأهم إلى هذا إلا اليأس، وقبح الجريمة التى اقترفوها، التى لن يغفرها لهم الناس، ولا رب الناس، وإزاء هذا العناد قررت قوات التطهير أن تضع لهذه المأساة " نهاية " وليقضى الله أمراً كان مفعولاً .. وفعلاً قضاه.

وقد سجل يوم الثلاثاء الخامس عشر من المحرم خاتمة المطاف من عمليات التطهير، وهى التى يمكن أن نطلق عليها المرحلة الخامسة من مراحل المطاردة والقتال، وفيها اقتحمت قوات التطهير آخر حصون المعتدين وهو " قبو " الحرم الشريف، فقتلت من المعتدين من قتلت، وأسرت من أسرت، وكان على رأس القتلى منهم من ادعى لنفسه أنه المهدى المنتظر (محمد بن عبد الله القحطانى)، وكان على رأس الأسرى نائبه (جهيمان بن سيف العتيبى)، وقبل أن نتجاوز هذا الحديث إلى غيره نثبت للقارئ الحديث الذى أدلى به العميد الركن فالح بن محمد الظاهرى قائد مجموعة الملك عبد العزيز الآلية، والذى عهد إليه بالإشراف الفنى على عمليات التطهير، وقد أدلى بهذا الحديث لجريدة المدينة الصادرة فى يوم الخميس السابع عشر من المحرم أى بعد إتمام عمليات التطهير بيوم واحد، وهذا نص الحديث مع خريطة عمليات الاقتحام النهائية:

العميد الركن فالح الظاهرى يقدم شرحاً وافياً كيف تمت عملية اقتحام الأقبية أسفل الحرم؟!

- **العملية كانت على نمط " حرب العصابات " وعلى محورين.**
- **" العصابة " استخدمت " جثث الأبرياء " للتحصن بها.**
- **الأوامر المشددة صدرت إلينا بإعطائهم فرص الاستسلام.**

مكة المكرمة – قدم اثنان من الضباط السعوديين أمس شرحاً وافياً للعمليات الأخيرة التى تمت لتطهير أقبية الحرم الشريف من مجموعة (المهدى الدجال) ومنظره الفكرى (جهيمان العتيبى).

فقال العميد الركن فالح محمد الظاهرى قائد مجموعة الملك عبد العزيز الآلية، إن القبو فى أسفل الحرم عبارة عن حصن منيع استغلته هذه الشرذمة وتحصنت داخله والخريطة تبين كثافة تحصينات هذا القبو الذى توجد به (٢٢٥) غرفة تستخدم كخلاوى وكغرف للزمازمة .. أمام هذه الغرفة طرقة بارتفاع ١٣٠ سم عن الأرض وبعدها يرتفع جدار عن الأرض، ثم يأتى صحن ورواق كامل مشابه للرواق الأعلى .. والقبو السفلى مشابه للدور فوق الأرض. بنفس البناء ويزيد على أدوار الحرم بوجود الخلاوى فيه.

ومن هنا فهو عبارة عن حصن شديد لا مثيل له فى العالم.

ومنذ اقتحام هذه العصابة للمسجد الحرام فإن كل التحصينات داخل المسجد الحرام أصبح يضرب حسابها، وقد كنا نخشى أن يلجأ هؤلاء إلى استغلال (الكعبة المشرفة نفسها).

وعندما بدأنا فى احتلال الأجزاء العليا من الحرم اضطروا للنـــزول إلى القبو.

ومنذ بد العمليات لتطهير الحرم حرصنا على إنفاذ توجيهات جلالـــة الملك : بالحفاظ على الحرم الشريف أو أماكن العبادة سليمة من أى أذى. والحفاظ على أرواح الأبرياء وتقليل الخسائر البشرية ما أمكـــن والقـــبض على المخربين أحياء.

وصدرت إلينا أوامر مشددة بـــأن نحـــاول أن نتـــيح لهـــم فرصـــة الاستسلام، وكما نكرر النداءات إليهم بأن يثوبوا إلى رشدهم.

وكان سمو الأمير سلطان وسمو الأمير نايف حريصين على ذلـــك، وكثيرا ما كانوا يطلبون منا أن نوجه إليهم هذه النداءات.

والواقع أن تطهير الحرم تم فى فترة قياسية (إذا قارنا ذلك بما يحتاج إلهيه معالجة حل مشكلة مهاجمة إرهابيين لمرفق ما فى الخارج وما يحتاج إليه من وقت طويل).

لقد كانت سماحة المسئولين فرصة ذهبية لهؤلاء بل إن ما لاحظنـــاه. أن كل من حاول مغادرة القبو والهرب للخارج كان يطلق عليه الرصـــاص من جانب هذه الفئة.

وبلغت بهم البشاعة، وعدم مخافة الله وخشيته أنهم اســـتغلوا جثـــث الأبرياء للتحصن بها، إنهم مهما عملوا من جريمة بعد هذه الجريمة جريمة احتلالهم للمسجد الحرام ومنع المسلمين من إقامة الشعائر الدينيـــة، الأمـــر الذى لم يحدث منذ أن أقام سيدنا إبراهيم – عليه السلام – قواعـــد البيـــت، فلن يكون أفظع من ذلك.

● كيف اقتحمتم الأقبية[1] ؟

كان لاقتحام البدروم فى مثل هذه الظروف هى عبارة عن حرب ضد عصابات. لذلك فقد عملت الخطة من القيادة لاقتحام البدروم محافظين على المبادئ الأساسية وهى المحافظة على الأرواح.

وكانت الخطة أن يقسم البدروم إلى قطاعين، وأن يكون العمل على محورين، محور باب السلام، ومحور باب الصفا، وشكلت مجموعة اقتحام من محور باب السلام، كان فيها ست مجموعات للاقتحام، وشكلت مجموعة باب الصفا تشمل ثلاث مجموعات اقتحام.

كان على المجموعة الأولى من باب المسعى أن تقتحم أحد الأبواب إلى أن تصل وتثبت فى مكانها إلى أن تصل المجموعة الأخرى وهى عملية فنية جدا.

المجموعة الثانية من باب زيادة.

المجموعة الثالثة على باب السلام.

المجموعة الرابعة لتطهير باب العمرة.

المجموعة الخامسة من باب الشبيكة.

المجموعة السادسة من باب إبراهيم إلى أن تصل إلى باب الملك عبد العزيز.

● فى المحور الثانى :

المجموعة الأولى من مدخل المسعى إلى باب الصفا.

المجموعة الثانية من باب الصفا إلى باب جياد.

المجموعة الثالثة تطهر منطقة باب الملك عبد العزيز.

---

(1) هذا وما يليه سؤال مندوب الجريدة للعميد الظاهرى.

لقد استغرق العمل المتواصل منا ١٨ ساعة، كنا نحاول فيها ونحرص على تطهير الغرف تطهيرا كاملا وهي ٢٢٥ غرفة، بعض الغرف الموجودة تحت الأبواب الرئيسية محصنة، وملتوية وتتكون من طابقين، وكان البغاة يتمركزون فى هذه الغرف، بالإضافة إلى أنهم قاموا بإتلاف جميع التوصيلات الكهربائية مما اضطرنا لمد أسلاك كهربائية من الخارج، ثم هناك أثار الحرائق التى قاموا بإشعالها وكانوا لا يتورعون عن القيام بهذه الأعمال التخريبية إلى آخر دقيقة منهم.

- **كيف كانت الروح المعنوية لدى الجنود ؟**

ليس هناك هدف فى الدنيا أسمى من الاستشهاد، فكل شيء فى سبيل الله يكون رخيصا وترخص الحياة كلها وما حوت.

وكان هذا رائد جميع من عملوا معنا من رجال الأمن والقوات كانوا يتمتعون بروح عالية وهم يحاولون أن يخلصوا حرمة بيت الله من هؤلاء البغاة المفسدون.

ولقد كان كل فرد منا يقشعر بدنه خوفا من إطلاق الرصاص على هؤلاء المجرمين وهو يعلم أماكن وجود بعضهم ليس خوفا ولكن خشوعا وخشية من إطلاق الرصاص فى بيت الله الآمن.

ولقد قال الله تعالى: ﴿ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٩١)

وهم الذين بدلوا بالقتال، بل قتلوا الأبرياء، وسفكوا الدماء.

لقد ذكرت لك أن الروح المعنوية بين الجنود كانت عالية جدا، ولقد لمسنا التعاون وحسن النظام والتنسيق من الجميع مواطنين مدنيين وقوات مما ساعدنا على أداء واجبنا والنجاح فيه.

ولقد لاحظت جراحا حديثة على وجه السيد العميد فى الجانب الأيسر فسألته عنها[1] :

فرد بقوله : إنها جروح بسيطة شرفنى الله بالإصابة بها فى بيته الحرام، أرجو أن أجد الأجر عليها عنده سبحانه وتعالى ولو أننى حرمت الشهادة ولكنى رحمت بهذه الجراح.

- **ما هى مشاعرك الآن والسلام والاطمئنان يعودان إلى مكة وإلى بيت الله الحرام ؟**

مشاعرى كمسلم يزور بيت الله الحرام خمس مرات فى اليوم وقد حرم من ذلك طيلة أيام وجود الطغمة الباغية فيه ثم العودة إليه الآن مرة أخرى فحمدا لله.

- **هل استسلم من هؤلاء المجرمين أحد ؟**

لم يستسلم بطوعه أحد منهم، ولكننا ألقينا القبض عليهم جميعا.

- **هل تعتقد سيادتكم أن الخسائر تناسب حجم العملية ؟**

إذا أردنا أن نقوم بمقارنة بين هذه العملية وأى عملية فدائية مماثلة فإننا نخرج بنتيجة أن هذه العملية رغم كبرها لم نتكبد فيها خسائر تذكر بالنسبة لحجمها. والحمد لله فإننا لا نعتبرها خسائر بل استشهادات محظوظين فازوا بالشهادة والحمد لله رب العالمين.

وهذا الشرح الدقيق لرجل عسكرى له شأنه، يرينا إلى أى مدى كانت مهمة تطهير المسجد الحرام من المعتدين معقدة بالغة الصعوبة. فهناك مائتان وخمس وعشرون غرفة كان أمام قوات التطهير أن تواجه ما فيها وتقوم بتطهيرها. وبعض الغرف كان مكونا من طابقين، بالإضافة إلى اتساع "القبو" نفسه حيث تعادل مساحته مساحة الحرم نفسه، ولذا فقد

---

(1) هذا كلام مندوب الجريدة.

استغرق وضع الخطة الاقتحام النهائى ثمانى عشرة ساعة ونفذتها مجموعات عمل اقتحامى بلغت تسع مجموعات لكل منها مهام خاصة تؤديها بالتناسق والترتيب بينها. ونظرة عابرة على الخريطة التى وضعت للاقتحام ترى القارئ مواقع فرق الاقتحام واتجاهاتها منها حتى تم القضاء النهائى على أولئك (البغاة) المعتدين.

على أن شعورهم بقبح ما ارتكبوه هو الذى حملهم على عدم الاستسلام حتى فى عمليات الاقتحام النهائى – كما صرح بذلك العميد الركن الظاهرى – فى حديثه هذا.

وشاء الله أن يقتل من ادعى أنه المهدى (محمد بن عبد الله القحطانى) وأن يقع فى الأسر جهيمان بن سيف العتيبى. أخطر رجل فى المجموعة، وكان يشغل أحد المناصب فى الحرس الوطنى، ثم فصل لسوء سلوكه.. وتعرف على محمد بن عبد الله القحطانى (المهدى الدجال) وتوطدت العلاقة بينهما ثم تزوج أخته. وليس ببعيد أن يكون هو الذى أوعز لمحمد القحطانى بهذه الفكرة الضالة وجندا لها – معا – من جنداه لحاجة فى نفسى (لا أقول يعقوب) كما جاء فى المثل المعروف، ولكن أقول لحاجة فى نفس الشيطان.

وبعد عمليات التطهير النهائية عرض التليفزيون السعودى المهدى الدجال وهو قتيل، كما عرض جهيمان العتيبى وكان ينظر بعينين حاقدتين. وصورته توحى بأنه مطبوع على الإجرام، بينما كانت شفتاه تتحركان ولكن بصوت لم يتح لنا سماعه، كما عرض التليفزيون أربع مجموعات من المعتدين تم القبض عليهم فى عمليات الاقتحام النهائى. وكلهم شباب مع التفاوت فى السن ويرى بينهم بعض الأطفال.

وقد كان البعض يشيع أن "محمد بن عبد الله القحطانى" لم يقع فى الأسر، ولم يقتل، ولكنه " هرب " بعد أن ارتدى ملابس "الحريم" ولكن التليفزيون السعودى قضى على هذه الشائعة حيث عرضه قتيلا أمام المشاهدين كما استضاف شقيق " المهدى الدجال " وأقر أمام الشاشة أن أخوه محمد بن عبد الله القحطانى. كما استضاف ابن أخته، وهو طفل دون العاشرة فيما أرى، وقال إنه خاله فلان. وسأله المذيع : وكيف عرفته؟ فأشار الطفل إلى علامة فى وجه خاله وقال : عرفته بملامحه، وبهذه العلامة. وكذلك أقر آخرون فى نفس العرض بأن هذا القتيل هو "محمد بن عبد الله القحطانى" الذى إدعى أنه المهدى المنتظر.

وفى يوم الأربعاء السادس عشر من المحرم صدر بيانان أحدهما عام من الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية، وقد تناول فى هذا البيان عدة جوانب تدور حول هذه الجريمة التى تم القضاء عليها، كما صرح بالحقائق الأولية التى تم التوصل إليها حتى الآن – ١٦ من المحرم – فيما يتعلق بالحادِثِ نفسه. وننشر لبيانه هذا تليخصا نشرته إحدى الصحف بمكة المكرمة فى ذلك التاريخ. وهذا نصه :

* * *

النهاية

سمو وزير الداخلية يروى قصة أحداث الحرم بالتفصيل

التنظيم "فردى" ولا علاقة لأى دولة به.. وبين أفراده جنسيات مصرية وكويتية ويمنية شمالية وجنوبية ومغربية وباكستانية

المهدى المزعوم.. قد يكون مقتولا..

ونحاول الآن التعرف عليه بين القتلى والمصابين

روى صاحب السمو الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية كامل التفاصيل التى أمكن حتى الآن التوصل إليها عن زمرة الخوارج وجريمتهم النكراء فى بيت الله الحرام – فيما عدا المعلومات التى يتطلب الكشف عنها التحقيق الدقيق مع هؤلاء.. بعد أن تم تطهير الحرم منهم تماما.. وأسر الأحياء منهم جميعا – وهو ما سيعلن فى بيان شامل بعد استكمال التحقيق.

وقد تحدث سموه بهذه التفاصيل بصورة شاملة من خلال حديث تليفزيونى ومؤتمر صحفى.

فقال سموه بأن المعتدين كانوا مسلحين ويمولون بالسلاح وأسلحتهم عادية ومتنوعة.. ومنها أسلحة صيد، وأن أغلبيتهم سعوديون، ولكن بينهم جنسيات من بلاد إسلامية أخرى منهم مصريون وكويتون ويمنيون شماليون وجنوبيون وباكستانيون ربما يكشف التحقيق جنسيات أخرى.

وقال بأن المهدى المزعوم ربما يكون قتيلا، وربما يكون بين المصابين وسيتم التعرف عليه من خلال القتلى أو المصابين.

وأعلن سموه بأنه ليس هناك لأى دولة أجنبية علاقة بحادث الاعتداء على المسجد الحرام وقال سموه إن التحقيق بدأ الآن وظهـر أن التنظـيم خاص بهم.

وأضاف سمو وزير الداخلية فى مؤتمره الصحفى الذى عقده مسـاء أمس بمكة المكرمة بمناسبة انتهاء حادث الاعتداء وتطهير المسجد الحـرام حضره ممثلو وكالة الأنباء السعودية والإذاعة والتليفزيون والصـحف أن المعتدين مسلحون، كما أنهم ممولون بالسلاح، وذكر سموه بأن عددهم فـى حدود ٢٠٠ شخص أو أكثر بقليل، وأشار إلى مصير المهـدى المزعـوم، فقال سموه إننا نعتقد أنه مقتول ولدينا مصـابون كثيـرون، ونحـاول أن نتعرف عليه بين المصابين أو القتلى.

وحول الإجراءات الأمنية فى الحرم الشريف فى المستقبل، قال سموه نحن نريده أن يكون حرما آمنا ومفتوحا للجميع فى كل وقت وسـنحرص فى الوقت الراهن أن تكون هناك إجراءات أمنية حتى نطمئن إلـى انتهـاء أسباب الحذر.

أسر الشهداء : محل عطفنا

وعن أسر الشهداء قال سموه إنهم محل العطف مـن قبـل حكومـة جلالة الملك، وأننى أهنئهم والفخر لهم بأن آباءهم كانوا شهداء فى خدمـة الإسلام، وأن الدار الآخرة أفضل من الدنيا والذى يموت هذه الميتة الشريفة لهو المحظوظ والسعيد.

نقدر شعور المسلمين

وقال سموه أن هناك حوادث فى بعض الدول الإسلامية، ولكن هـذه الحوادث محدودة، وعلى المسلمين أن ينشروا العقيدة الصـحيحة والفهـم الحقيقى للإسلام، ومن ناحية أخرى قال سموه نحن نقدر كل التقـدير ردود الفعل العربية والإسلامية على المستوى الرسمى والشعبى، وهذا يؤكـد أن شعور المسلمين واحد، ويؤكد ما يحتاجه البيت الحرام وهذه البلـدة قيـادة وشعبا فى العالم.

علينا الحذر من الشائعات المغرضة

ومن ناحية أخرى قال سموه إن هناك شائعات مغرضـة مصـدرها غير أمينة ومعروفة بعدائها للإسلام والمسـلمين والحقيقـة هـى الأبقـى والمطلوب من صَحافتنا أن تكون دقيقة فى إيرادها للحقيقة، وعلى المسلمين أن يتنبهوا لأنهم مستهدفون، وأن لا يغتروا بالنوايا الحسنة والتـى تختفـى وراءها نوايا غير حسنة، وأن تتعاون الدول والشـعوب الإسـلامية حتـى يدرءوا الخطر عن بلدانهم وشعوبهم، وهناك جهات أجنبية فـى مقـدمنها الصهيونية والإلحاد تشعر أن اتحاد المسلمين خطر عليهم وهم مخطئـون، لأن فى اتحاد المسلمين وانتشار عقيدتهم استقرارا للعالم، وواجب المسلمين أن يتعاونوا فيما بينهم.

شهداؤنا.. وقتلى المعتدين

وفى حديث تليفزيونى أعلن صاحب السمو الملكى الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية أن عدد ضحايا الاعتداء على الحرم المكى هم ٦٠ شهيدا من القوات المسلحة المختلفة، و ٢٠٠ مصاب لأن المعتدين كانوا يطلقون الرصاص بكثافة، كما بلغ عدد القتلى من المعتدين حوالى ٧٥ (خمسة وسبعين) والأسرى ١٧٠ (مائة وسبعين).

نوعية الأسلحة

وقال سموه إن أسلحتهم عادية ومتنوعة، ومنها أسلحة صيد.. وذكر أن العملية دامت حوالى أسبوعين حرصا على عدم المساس بالحرم والكعبة المشرفة، وكان باستطاعتنا إنهاء الفتنة خلال ساعات. وأوضح سموه أنه تم تنفيذ عملية تطهير المسجد بتوجيهات من جلالة الملك وولى العهد عاملين بكل جهد واجتهاد لتخليص الأبرياء إلى ما قبل أيام، حيث طهرنا الحرم من آخر مسلم بريء ليس له شراكة فى الأمر، وهذا أعاق السرعة، وبعد ذلك بدأنا فى تطهير المنائر والسطوح وأنزلوا للدور الثانى، ثم إلى الصحن، ثم إلى الأقبية، وسيطرنا عليهم سيطرة كاملة.

وأضاف سمو وزير الداخلية أننا كنا نحرص على سلامة رجالنا الذين كانوا مندفعين للظفر بالاستشهاد فى سبيل الله، وقال إن زعماء المعتدين قد ألقى القبض على بعضهم وقتل البعض الآخر.

جنسيات المعتدين

وذكر سموه أن المعتدين أغلبيتهم سعوديون ومعهم جنسيات من بلاد إسلامية متعددة.

وأكد سموه أن ليس وراء الموضوع دولة أجنبية، وقال إن من بينهم مصريين ويمنيين شماليين وجنوبيين وباكستانيين ومغاربة وكويتيين.

وقد نكتشف جنسيات أخرى، وعن استئناف العبادة في المسجد الحرام قال سموه أرجو أن يكون ذلك في أقرب وقت بعد الانتهاء من التنظيف والإصلاح.

وأعرب عن شكره لوزارة الصحة والهلال الأحمر وأمانة العاصمة وإدارات الكهرباء والهاتف والمرافق الأخرى.. كما شكر أبناء مكة المكرمة وقال "لقد وجدنا منهم كل عون ومساعدة وقد استضافوا القوات في بيوتهم وأخلوها للقوات، وعشنا وإياهم كعائلة واحدة".. ووجه الشكر للشعب السعودي علي ما عبر عنه من مشاعر التأييد، وطلب المشاركة في محاربة المعتدين.

وكان سموه قد توجه في بداية حديثه بالتهنئة للشعب السعودي على انتهاء هذا العدوان الغادر، حيث تمكن جنود الله وجنود الخالد بن عبد العزيز أن يعملوا بتوجيهات جلالته وسمو ولي العهد لإنهاء هذه المهمة وفق مبادئ أربعة هي :سلامة الكعبة المشرفة والحفاظ على أرواح الابرياء من المصلين والطائفين والمحافظة على قواتنا المسلحة من الجيش والحرس وقوى الأمن.. والقبض على الخوارج أحياء هذه الأهداف تحققت، وقال سموه إن هذه الحادثة واعتداء هذه الفئة الخارجة عن الدين الإسلامي على

المسجد الحرام وترويعها للمصلين والطائفين فى البيت الكريم الآمن يعتبر عملا شنيعا، لأن الحرم يجب أن يكون أمنا لأنه إذا لم يجد المؤمن الأمـــن فى بيت الله فأين يجده.

المحاصرة.. وفق أربعة أهداف رئيسية

وقال سموه أن أوامر جلالة الملك خالد قد صدرت بتطهيـــر البيـــت الحرام، فحضر إلى هنا صباح الثلاثاء صاحب السمو الملكى الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع، وحضرت أنا فى معيتـــه وصــــاحب الســـمو الملكى الأمير فواز بن عبد العزيز أمير منطقة مكـــة المكرمـــة وبوشــــر بمعالجة الموقف، واستدعيت قوات مشتركة من الجيش والحرس الـــوطنى وقوات الأمن فحضروا إلى هنا، وكان الإشراف المباشر من قبل صــــاحب السمو الملكى الأمير سلطان، وكنا نعمل لتحقيق توجيهات جلالـــة الملـــك وسمو ولى العهد، وبدأت الفئة الضالةِ فِى إطلاق النار على من فى المسجد وخارجه وقتلوا الأبرياء حتى رجال الإسعاف، وانتظرنا حتى مغرب يـــوم الثلاثاء، انتظرنا الفتوى التى أعلنت حيث أمرنا جلالة الملـــك بـــأن نعيـــد للحرم أمنه، وهذا ما جعل المهمة تستغرق هذه المدة التى استغرقت قرابة أسبوعين. لالتزامنا بمبادئ أربعة بناء على أوامر جلالة الملك.

وبوشر فورا بمعالجة الموقف واستدعيت جميع القوات المشتركة من جيشنا المظفر ومن حرسنا الوطنى ومن رجال الأمن الأمناء علـــى هـــذا الوطن، وفى مقدمته بيت الله الشريف، بالإضافة للظروف الصـــعبة لبنـــاء الحرم وحرصنا على عدم المساس بالحرم والكعبة المشرفة، وكـــان علينـــا

منذ البداية العمل بتوجيهات جلالة الملك وسمو ولى عهده وفـق المبـادئ والأهداف الأربعة التى سبق وأعلن عنها وهى :

الأول : سلامة الكعبة المشرفة، وهذا ولله الحمد تحقق.

الثانى : الحفاظ على أرواح الأبرياء مـن حجـاج بيـت الله وهـم المصلون والطائفون فى بيته الشريف وهذا تحقق ولله الحمد.

الثالث : وهو المحافظة ما أمكن على أرواح رجال قواتنا المسـلحة فى الجيش والحرس الوطنى وقوى الأمن وهذا تحقق ولله الحمد بأقـل مـا يمكن من خسائر.

الرابع : وهو محاولة الإبقاء على حياة، أو القبض على أصحاب هذا المبدأ الخارج عن الدين الإسلامى أحياء، وقد تحقق إلى حد ما.

قلنا فى بيان هذا الصباح بانتهاء هذا الاعتداء وتطهير الحرم الشريف أو على الأرجح القبو السفلى للحرم، لأن الحرم ولله الحمد تطهر منذ أيـام، أما الآن فإننا سنتحدث بشيء من التفصيل عن أمـور أخـرى لابـد مـن ذكرها.. فأود أن اذكر بأن نعود بعض الشيء للوراء قبل أسبوعين عنـدما حصلت هذه الحادثة وأعتدى على بيت الله الحرام من قبل شـرذمة فاسـدة روعت المصلين والطائفين فى بيته الكريم الأمن الذى يمنع أن يكون فيـه رجل يحمل عصا وليست بندقية أو سلاحا، لأن الجميع يجـب أن يكونـوا آمنين فيه وهذا ما أراده الله عز وجل لهذا البيت، فإن لم يكن البيت آمنا أو لم يجد أى مسلم فيه الأمن فأين يلجأ، فأراد هؤلاء الأشرار أن يقوضوا أمن بيت الله، ولكن الله أبى أن يقوض أمن بيته، فأمر عباده الصالحين وعلـى رأسهم جلالة الملك خالد بأن يطهر بيته للطائفين والركع السجود، وهذا ما حصل ولله الحمد، ومنذ أن حصلت هذه الفتنة صدرت أوامر جلالة الملـك

بتلك الأهداف التى أشرت إليها وحضر إلى هنـــا صــباح يــوم الثلاثـــاء ١ر١ر ١٤٠٠هـــ صاحب السمو الملكى الأمير سلطان بن عبــد العزيــز وزير الدفاع والطيران وحضرت بمعية سموه، وكذلك ســبقنا إلـــى هنـــا صاحب السمو الملكى الأمير فواز بن عبد العزيز أمير منطقة مكة وبوشر فورا بمعالجة الموقف.

خطة محاصرتهم وتطويق الفتنة

وعن كيفية تنفيذ خطة القضاء على هؤلاء ومحاصرتهم قال سموه :

تم ذلك بالتطويق الكامل والاستعداد من جميع قواتنا التى كلفت بهذه المهمة من الجيش والحرس الوطنى وقوات الأمن.

ووفق التوجيهات السامية، وكنا نعمل بكل جد واجتهاد بأن نخلــص جميع الأبرياء الموجودين فى الحرم، وكنا نسعى إلى ما قبــل أيـــام حتـــى طهرنا الحرم من آخر إنسان أو مسلم برىء ليست له شراكة فى هذا الأمر وهذا طبعا كان دقيقا ومعيقا فى الواقع لسرعة تنفيذ المهمة ويعد ذلك بــدأنا فى تطهير المآذن والسطوح حتى لا يعتدوا على الأبرياء خـــارج الحـــرم وأنزلوا إلى الدور الثانى ثم أنزلوا إلى الصحن وبعدها إلى الأقبية وسيطرنا عليهم سيطرة تامة.

وقد كان حرصنا على أن نحافظ ما أمكن على سلامة رجالنا بقــدر الإمكان وإن كانوا فى الواقع مندفعين اندفاعا كبيرا يتسابقون إلى الــدخول إلى الأقبية للظفر بالاستشهاد فى سبيل الله، ثم فى ســبيل تطهيــر البيــت الكريم".

البيان الثانى

أما البيان الثانى فصدر عن وزارة الداخلية بينت فيه العدد الإجمالى لعدد الضحايا والجرحى من الحجاج والمصلين الذين احتجزوا فى الحرم بعد قيام الفتنة. كما ذكرت أسماء الذين تم التعرف عليهم وجنسياتهم. ونص البيان كالآتى :

* * *

الرياض – واس.. أعلنت وزارة الداخلية أمس أن عدد الإصابات بين الحجاج والمصلين الأبرياء فى حادثة الاعتداء الأثم على المسجد الحرام بمكة المكرمة بلغت ستة وعشرين قتيلا، منهم ثلاث نساء وهناك تسعة أشخاص لم يتم التعرف على هويتهم ومائة وتسعة جرحى.

وأعلن بيان أصدره صاحب السمو الملكى الأمير نايف عبد العزيز وزير الداخلية أن هذه الإصابات نشأت عن قيام فئة ضالة خرجت على الإسلام والمسلمين، فاقتحمت أقدس بقعة على وجه الأرض فجر يوم الثلاثاء الأول من شهر المحرم ١٤٠٠هـ، واحتلوا جوانب المسجد وأركانه ومنائره، وأخذوا يطلقون نيران أسلحتهم المختلفة على الأبرياء داخل وحول الحرم الشريف دون تمييز ودون مراعاة لحرمة أو قدسية الأرواح والمكان بعد أن رفض المصلون مبايعة من زعموه مهديا. وقال سمو الأمير نايف إن الإصابات شملت السعوديين وغير السعوديين من الحجاج والمترددين على الحرم الشريف، وأعرب صاحب السمو الملكى وزير الداخلية عن تعزيته ومواساته لذوى الشهداء، وعن أمله فى أن يكتب الله للجرحى الشفاء العاجل.

** وفيما يلى نص بيان وزارة الداخلية :

قامت الجهات المختصة فى وزارة الداخليـــة بحصــــر عـــدد الـــذين استشهدوا أو أصيبوا من المدنيين الأبرياء فى حادث الاعتداء الآثــم علـــى الحرم الشريف صباح يوم الثلاثاء الأول من شهر المحرم الحـــرام مطلـــع السنة الهجرية الجديدة ١٤٠٠هــ وحددت جنســـياتهم وهويـــاتهم، وكانـــت الإصابات نتيجة لقيام زمرة ضالة خارجة المسجد وجوانبه على المصـــلين والحجاج الأبرياء داخل وحول الحرم باحتلال المسجد الحـــرام وإطـــلاق نيران أسلحتها المختلفة من المنائر دون تمييز أو وازع من ضمير لحرمـــة المكان وقدسية وحرمة الأنفس المؤمنة التى حرمها الله، فبلغ عـــدد القتلـــى ستة وعشرين، والمصابين ١٠٩، ووزارة الداخلية إذ تعلن هذه الحقـــائق تتوجه إلى الله العلى القدير أن يتغمد الشهداء بواسع مغفرتـــه، وأن يلهـــم ذويهم جميل الصبر، كما ترجوه سبحانه وتعالى أن يعجل بشفاء الجرحى، ويمن عليهم بالعافية، أما أسماء القتلى والمصابون فهى كما يلى.

** فيما يلى أسماء الجرحى :

- **سعوديون** : فؤاد زمزمى – سعيد سالم الغامدى – محمد أحمد فقيه – محمد عبد الرحمن ناصر الشهرى – عمر محمد مطرفى – محمـــد اللياسى – خالد محمد سعدون – خليل إبراهيم شرف – شاكر محسن فهمى الحربى – إبراهيم إسماعيل – محمد نور أشقر – محمد سراج رمضان – يوسف يونس ندا – إلياس عبد المناع – عزيز عبد الله عمر – عمر محمد أحمد – غازى سليمان الحربى – على محمد يوسف حجاج – بكـــر نـــوح محمد فلاتة – على حسن الزبيرى – يحيى على حسين جيزانـــى – أحمـــد خميس الحربى – على محمد – إبراهيم حسين أحمد – عبد العلـــيم أحمـــد

مغربى – محمد حميد الحربى – محمد أحمد حجى – على عمر غزالى – إسماعيل كبير أحمد – إدريس رجب.

**** وفيا يلى أسماء الشهداء :**

- **باكستانيون :** فضل هادى إمام – ملكة باكثر الباكستانية – حاجى عبد الرحمن رزنك – ملك محمد لطمان.
- **ســـعوديون :** خالد سليمان رجب – يوسف يونس موردى – زين عبد الله الشهرى – فيصل خلف العتيبى.
- **إندونيسيون :** حنان حسن البصرى – إسماعيل كاند – على على عثمان هثمان.
- **هنود :** إسماعيل عبد الشكور – طهير محمـــد نقيـــر الهنـــدى – زهير محمد هندى – فاطمة محمد بيبى.
- **مصريون :** عطية أحمد أحمد.
- **بورميون :** إسلام عبد الشكور محسن.
- **باكستانيون :** زوق محمود الباكستانى – قَاَسَم صادق باكستانى – وجنت بيبى – مهر إقبال – قاسم أبو بشير خان – عبد المقصود إســـماعيل – نسيم أحمد – بختيار صدقة خان – محمد سلام كرم – محمـــد أفضـــل دوس محمد – غلام بكر – شير محمد مـــدوخان – عبـــد القـــادر يحيـــى بسكتنانى – علقة الباكستانى – اختر بيجوم – حبيب عبد الرحمن – سردار اختر بيجوم – غلام حسن غلام – محمد ضيف الله – محمد ســـليم محمـــد أمين – نورى محمد جمال الدين – جمال الدين محمـــد – محمـــد حســـين الباكستانى – سروار على خان – بنار خان كالا – نزير أحمد محمد دين.

- **مصريون** : محمد مغربى عبد القادر مغربى – محمد موسى مصطفى – عمر عبد اللطيف – قيصانى حسين عبد الغنى – أبو المجد محمد أبو النور – حسن محمد عبد اللطيف – قطب محمد إبراهيم – عبد الفتاح عبد القادر – خالد طه إبراهيم – محمد حسين محمد – عباس محمد عمر – عبد السلام عبد الجواد.
- **يمانيون** : راشد عبد الله يحيى – صالح خدام حيدر – حيدر محمد على – عبد الله شرف الدين – على سعيد الهلمى – على سعيد اليمانى – محمد على حسن حمدى – على محمد عبد الله – عبده محمد غالب – على محمد مصلح – حسين محمد اليمانى.
- **هنود** : عبد الحق عبد الرسول – محمد سالم محمد على – صالح محمد على – محمد أمس – معرية إمام الدين – دوبار على شقدر على.
- **إندونيسيون** : دنيا عقيب – عنبرى إلياس – اسامة أحمد زينى – وإمام يحيى الإندونيسى – مأمون اشمونى.
- **بورميون** : إلياس عبد المنان بورماوى – عمر إبراهيم بابكر – محمد أمين حلونى.
- **نيجيريون** : صالح موسى إبراهيم – آدم محمد النيجيرى.
- **صوماليون** : رحوى شيخ الله معالى وقمر أسمرة.
- **أتراك** : على كوستيشن ومحرم بليش.
- **أثيوبيون** : محمد جمال داكو.
- **كويتيون** : محمد عبد الرحمن.

● **بـنجلاديش :** حافظ أبو سعيد – محمد إسماعيل – يوسـف علـى البنغالى – حسن على حسن.

● **حضارمة :** على عمر الغيث.

● **أفغانيون :** نور محمد أحمد.

● **ماليون :** سليف على فهمى.

● **أمريكيون :** جمل أمير خالد عبد الله.

وأوضح من هذا البيان أن الذين استشهدوا فى هذا الحـادث الأثـيم ينتسبون إلى سبع عشرة جنسية دولية علـى النحـو الآتـى، سـعوديون، باكستانيون، إندونيسيون، هنود، مصريون، يمانيون، بورميون، نيجيريون، صوماليون، أتـراك، أثيوبيـون، كويتيـون، بنجلادشـيون، حضـارمة، أفغانسيون، ماليون، أمريكيون.

ويلاحظ أن بعض الجنسيات فى هذا البيان مكررة مرتين كما تـرى ذلك فى الباكستانيين، والمصريين، والهنود، والبورميين، وكان الأولى قرن كل شهيد بأمثاله فى الجنسية ما دامت الصفة التى جمعـتهم واحـدة هـى الاستشهاد.

البشر يعلو الوجوه

وما كاد الناس يعلمون بنبأ القضاء على هذه الجريمة حتى علا البشر كل الوجوه. وانزاح الكابوس الذى كان قد خـيم علـى الصـدور طـوال خمسة عشر يوما، كنت ترى فيها الجموع تحتشد أمام شاشات التليفزيـون كل مساء ساعة إذاعة الأخبار عساهم يسمعون ما يـرد إلـيهم رشـدهم.

كما تواكبوا لشراء الصحف الصباحية ليقرأوا بأبصارهم ما سمعوه بآذانهم، واتجه الكثير صباح يوم الاربعاء إلى مشاهدة الحرم الشريف نفسه،" ليطمئنوا على ذلك "الصرح الآمن" ويستمتعوا بالنظر إليه.

وأعلنت الصحف الصادرة صباح الخميس السابع عشر من المحرم بأن الملك خالد بن عبد العزيز سيؤدى صلاة مغرب الخميس نفسه بالمسجد الحرام، ومعه ولى العهد الأمير فهد بن عبد العزيز وكبار المسئولين، ليكون جلالة الملك أول المصلين فى المسجد الحرام بعد اكتمال تجهيزه للمصلين والطائفين. وقد تمت تلك الصلاة لأول مرة يفتح فيها الحرم الشريف أبوابه لجميع المصلين بعد ستة عشر يوما كان فيها قلعة حربية بين فئتين التقتا فئة فاجرة وأخرى تقاتل فى سبيل الله. وكان لقاء المؤمنين فى ذلك اليوم الخالد حارا، حيث التقت فى ذلك البيت العتيق القلوب والمشاعر قبل أن تلتقى الأشباح والأجسام. نعم التقت المشاعر والقلوب. وكم ذرفت العيون من دموع واخضلت لحى، فرحة بالنصر، وحبا فى بيت الله الأمين، قلب الأمة المسلمة الفياض بكل معانى الجلال والكمال. حفظه الله موئلا لكل مؤمن صادق الإيمان. ومنارة هدى، وممطر رحمة. وقبلة صلاة وكعبة حجاج وعمار.

* * *

وعلى هذا فإن تلك الأحداث المنكرة والجريمة الكبرى قد عطلت المسجد الحرام من الأذان والإقامة والصلاة والطواف والسعى اثنين وثمانين وقت صلاة، بدأت بظهر الثلاثاء الأول من المحرم ١٤٠٠هـ، وانتهت بعصر الخميس السابع عشر من المحرم نفسه، وهى كالآتى :

الصلوات التى عطلت بالحرم

- ظهر الثلاثاء الأول من المحرم وعصره، ومغربه وعشاؤه.
- صبح الأربعاء الثانى من المحرم وظهـره وعصـره، ومغربـه وعشاؤه.
- صبح الخميس الثالث من المحرم وظهـره وعصـره، ومغربـه وعشاؤه.
- صبح الجمعة الرابع من المحرم وجمعتـه وعصـره، ومغربـه وعشاؤه.
- صبح السبت الخامس من المحرم وظهـره وعصـره، ومغربـه وعشاؤه.
- صبح الأحد السادس من المحرم وظهـره وعصـره، ومغربـه وعشاؤه.
- صبح الاثنين السابع من المحرم وظهـره وعصـره، ومغربـه وعشاؤه.
- صبح الثلاثاء الثامن من المحرم وظهـره وعصـره، ومغربـه وعشاؤه.
- صبح الأربعاء التاسع من المحرم وظهره وعصـره، ومغربتـه وعشاؤه.
- صبح الخميس العاشر من المحرم وظهره وعصـره، ومغربـه وعشاؤه.

- صبح الجمعة الحادى عشر من المحرم وجمعته وعصره، ومغربه وعشاؤه.
- صبح السبت الثانى عشر من المحرم وظهره وعصره، ومغربه وعشاؤه.
- صبح الأحد الثالث عشر من المحرم وظهره وعصره، ومغربه وعشاؤه.
- صبح الاثنين الرابع عشر من المحرم وظهره وعصره، ومغربه وعشاؤه.
- صبح الثلاثاء الخامس عشر من المحرم وظهره وعصره، ومغربه وعشاؤه.
- صبح الأربعاء السادس عشر من المحرم وظهره وعصره، ومغربه وعشاؤه.
- صبح الخميس السابع عشر من المحرم وظهره وعصره.

ولم يعهد لا فى القديم ولا فى الحديث أن بيت الله الحرام قد تعطل بعد عام الفتح عن الأذان والإقامة والصلاة والطواف والسعى، مثلما حدث على أيدى هؤلاء (الطغاة البغاة المعتدين المحاربين لله ورسوله. فحسابهم عند الله، حسبوه هينا، وهو عند الله عظيم).

فكم من مصل وطائف وساع صدوه عن المسجد الحرام خلال تلك الفترة. قاتلهم الله وقاتل من شايعهم وناصرهم. فقد أرادوا فيه إلحادا بظلم، فليذقهم الله من العذاب الأليم. ولا حول ولا قوة إلا بالله ولى المؤمنين فى الدنيا والآخرة.

جمعة .. جامعة

وجاء يوم الجمعة الثامن عشر من المحـرم ١٤٠٠هـ، وأخـذت الجموع والأفئدة تهوى هويا إلى ذلك البيت العتيق. وصارت كل الطـرق المؤدية إليه حافلة بالساعين للصلاة فيه من كل أرجاء مكة المكرمة ذلـك البلد الطيب الأمين، ومن القرى والمدن الحجازية جميعا، مـنهم الراجـل، ومنهم الراكب. موكب عظيم احتشد فى تلك البقعة الطيبة المباركة رجـالا ونساء، وشبابا، وأطفالا، والجميع ما بين راكع وساجد وداع وتال للقـرآن أو طائف حول البيت أو يجول ببصره وفكره داخل المسجد ليرى ماذا حل به خلال فترة الاعتداء،" فإذا هو يقول بلسان حاله: هأنذا كما عهدتمونى لم يصبنى سوء، وهأنذا مهبط الرحمات، وملتقى الجماعات ومن دخلنى كـان آمنا. إن لى ربا يحمينى فاعبدوه هو الذى أطعمكم من جوع وآمـنكم مـن خوف.

لقد تواكب الناس حتى كاد الرجل يسجد على ظهـر أخيـه. ومـن العجب أن "الحمام" قد عاد مع عودة المصلين، ولقد أبصرته وأنا جالس فى المسجد الحرام قبيل أداء صلاة الجمعة يحوم فوق الرءوس داخل الحـرم، ويطير حول البيت جماعات كأنه يطوف به كما يطوف الناس. فيا ترى من الذى أخبره أن الخطر قد زال. لقد هجر هو – قبلا – تلك المنطقـة إلـى سطوح المنازل والعمارات البعيدة عن الخطر. فما الذى جعلـه يسـتأنف العودة فى نفس الوقت الذى عاد فيه الناس أنه الله الذى أعطى كـل شـيء خلقه.. ثم هدى.. ؟

وحين أخذ خطيب الحرم يستبشع تلك الأحداث التى قد دنس بها المعتدون ذلكم الحرم الآمن، أغرورقت عيناه بالدموع وتحشرج صوته من البكاء. فبكى الناس من حوله وفاضت مشاعرهم بالحب لبيت الله الحرام، والنقمة على أولئك المعتدين الآثمين.

وتسألنى عزيزى القارئ ما الذى شاهدتموه فى الحرم من أثر الاعتداء والقتال الذى دار فيه على مدى أسبوعين كاملين.؟

وأجيبك وحسبى وحسبك الله إن كنت بالغت فى الإجابة متجاوزا للحقيقة. ومعاذى الله من هذا. وألخص تلك الإجابة فى العبارة الآتية.

لقد قدرنا أن رجلا أدى صلاة العشاء الأخيرة من يوم الاثنين آخر شهر ذى الحجة، ثم انصرف وحال حائل ما بينه وبين العلم بما وقع المعتدين على الحرم الشريف فلم يسمع ولم ير مما حدث شيئا. ثم عاد ليؤدى صلاة الجمعة من الثامن عشر من المحرم بعد أن تم استخلاص المسجد الحرام من المعتدين. لو حدث هذا لما تنبه ذلك الرجل وهو داخل المسجد الحرام لما وقع فيه من أحداث يندى لها الجبين، لأنه سيرى المسجد هو هو كما تركه لم يمسه سوء ظاهر. ولو أن رجلا آخر أراد أن يخبر هذا الرجل بما حدث وبحث عن علامة ظاهرة قوية يجعلها دليلا بين يدى خيره لأعياه البحث. ولظل الرجل الأول على حاله من اليقين بأن مسجد الله الحرام لم يعبث به عابث. فقد ظل مصونا قبل الاعتداء وبعد الاعتداء.. وفى أثناء الاعتداء. كل ما كنت تراه نقرات فى بعض الأعمدة من الداخل ولا شيء غير النقرات ولهذه الظاهرة – ظاهرة سلامة البيت العتيق – فيما أرى سببين.

أولهما : ظاهرى. وهو حرص قوات التطهير على عـدم المسـاس بقدسية البيت الحرام، تنفيذا للتعليمات التى أصدرتها القيادة السياسية العليـا للبلاد.

وثانيهما : سبب غير عادى وهو حماية الله لبيته العتيق. ولولا تلك الحماية لوقعت تجاوزات، لأن الإنسان ليس معصوما من الخطأ. وعنـدما تؤازر إرادة الله وقدرته إرادة الإنسان وقدرته المحدودتين فإن قوى العـالم كلها لن تستطيع أن ترد ما أرادته إرادة الله، وتعلقت به قدرته، وهيأ له من خلقه من يقوم به ويؤديه. فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولو شـاءه من فى الكون كلهم أجمعون. وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم.

* * *

كانت تلك الجمعة الجامعة قد بعثت فى قلوب المؤمنين فى كل مكان كل بواعث الراحة والاطمئنان. وحمدوا للقادة سياستهم، وللجنـود الـذين عملوا على تطهير بيت الله الحرام حسن بلائهـم وصـبرهم وتضـحياتهم وشجاعتهم، ولكن مع هذا فقد ظلوا منتظرين كيف تكون نهاية أولئك البغاة ومتى تكون. وما الذى حملهم على أن يفعلوا ما فعلوا وفى بيت الله الحرام الذى جعله للناس مثابة وأمنا؟، وأمر من قديم الزمان إبـراهيم وإسـماعيل - عليهما السلام - أن يطهراه للطائفين والعاكفين والركعِ السجود.. فكيف وصل الأمر بهؤلاء المنبوذين من كل خلق كريم وعقيدة صحيحة إلى هـذا الحد من الاستهانة ببيت الله الحرام، والعبث بالحرمات. إنها جريمة العصر التى لم يعرف لها التاريخ مثيلا حتى فى عهد الجاهلية الجهلاء.

وزاد الاهتمام بالصحف والإقبال عليها بعد القبض على من بقى من أفراد أولئك الحمقى. لمطالعة ما جد من أخبارهم وما ينكشف من جرائمهم المستترة وراء جهلهم وضلالهم.

وقوم لم يرعوا لله عهدا ولا ذمة فى أقدس مقدساته. فكـل جريمـة تصدر منهم – بعد ذلك – هو لها أهل. إن لسان حال الواحد منـهم كـان يتغنى يقول الشاعر الذى يزهو بأنه كان امرءا من جند ابليس. فأوغل فـى الضلال والشر حتى صار إبليس نفسه من جنده :

وكنت امرءا من جند إبليس فارتقى

بى الحال حتى صار إبليس من جندى

فأى مصير – يا ترى – سيصير إليه هؤلاء ، ومتى نـرى الحكـم العدل ينفذ فيهم. ولقد كنت واحدا من أولئك المتابعين لمصـير هـؤلاء لا أترك حرفا واحدا ينشر عنهم إلا وقرأته. وتتبعت قصتهم فى كل الصـحف والإذاعات. فالجريمة خطيرة، والقائمون بها أخطر وسوء المنقلـب بهـم أجدر. فبئسما ما فعلوه وأن تأولوه وبرروه فما هم إلا بغاة حمقى أجهلون.

* * *

وفى ضحى يوم الأربعاء الحادى والعشرين من صـفر ١٤٠٠هـ الموافق التاسع من يناير سنة ١٩٨٠م، تم إيقاع القصاص الشـرعى علـى من ثبتت إدانتهم من المجرمين. وكان الذى تم فيهم حكم القصاص "الإعدام" ثلاثة وستين شخصا من جنسيات "دول" متعددة أكثرهم سعوديون. كما تـم الإفراج عن ثمان وثلاثين شخصا ثبتت براءتهم قضاء. كما خففت عقوبـة القتل إلى السجن على تسعة عشر شخصا.

وقال البيان الرسمى الصادر فى ذلك اليوم عن الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية أن الإحصاء الحقيقى للجرائم التى وقعت من جراء تلك الفتنة هو استشهاد اثنى عشر ضابطا ومائة وخمسة عشر صف ضابط وجنديا. وأن الذين أصيبوا من قوات التطهير وتم دخولهم المستشفى للعلاج هو تسعة وأربعون ضابطا وأربعمائة واثنين صف ضابط وجندى.

أما المعتدون فقد قتل منهم داخل الحرم فى عمليات التطهير خمسة وسبعون شخصا. كما عثر على خمسة عشر قتيلا منهم تعرف عليها المعتقلون. كما أن سبعة وعشرين شخصا منهم قد توفوا متأثرين بجراحهم.

وأن عدد النساء والصبيان الذين اشتركوا مع أولئك المعتدين قد بلغ ثلاثا وعشرين امرأة وطفلا. وقد حكم على كل واحدة من النساء بالسجن سنتين مع العناية بتوجيههن دينيا. أما الأطفال فقد أودعوا دار الرعاية لاستصلاحهم وتعليمهم حتى يكون أعضاء صالحين فى المجتمع الإسلامى.

وقد كان العلماء قد أصدروا فتوى ثانية بينوا فيها الحكم الشرعى الذى يخضع له هؤلاء المعتدون، كما أصدروا الفتوى المتقدم ذكرها التى بينت السلوك الشرعى الذى تجب الصيرورة إليه لتطهير بيت الله الحرام عقب وقوع الحادث مباشرة.

وننشر فيما يلى تلخيصا لبيان الأمير نايف وزير الداخلية.. ثم نردفه بنص الفتوى التى أصدرها العلماء قبيل تنفيذ الأحكام المشار إليها آنفا.

إعدام ٦٣ من الخوارج في عدد من المدن السعودية أمس
٣٨ لم تثبت إدانتهم وأفرج عنهم، سجن النساء
عامين وإدخال الأحداث دور الرعاية
جدة – مكتب "الشرق الأوسط"

أعلن الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية السعودى أنــه تــم صباح يوم أمس الأربعاء إعدام ٦٣ شخصا من مجموعة الخوارج الــذين اعتدوا على المسجد الحرام فى الأول من شهر المحرم الماضى. وقد نفــذ الحكم فى عدد من مدن المملكة هى مكة المكرمــة والريــاض والمدينــة المنورة والدمام وبريدة وحائل وأبها وتبوك.

وذكر بيان وزير الداخلية أن العاهل السعودى الملك خالد كــان قــد أصدر أمره برقم ٤٢٠٧ / ٢ وتاريخ ١٩ / ٢ / ١٤٠٠هــ الموجــه إلــى سموه بشأن الاعترافات التى أدلى بها المجرمون الذين اعتدوا على الحرم، وأدخلوا فيه السلاح والذخيرة وأغلقوا أبوابه علــى المســلمين الــذين أدوا الصلاة فى اليوم الأول من شهر المحرم عام ١٤٠٠هــــ. وقــد روعــوا المسلمين فى الحرم الذى جعله الله آمنا، وعند البيت العتيق الذى جعلــه الله مثابة للناس وأمنا، وسفكوا الدماء المحرمة وأزهقوا الأرواح البريئة بغيــر ذنب وأجبروا الناس فى الحرم على مبايعة أحد الفئــة الضــالة المفســدة زاعمين أنه المهدى، وهددوا من لم يستجب بالسلاح كما هو مســجل فــى إحدى خطب هذه الفئة الظالمة التى ألقاهــا أحــد رؤوس الفتنــة صــبيحة عدوانهم على الحرم.

وذكر جلالته فى أمره المشار إليه أنه استنادا إلى فتـــوى أصـــحاب الفضيلة العلماء بقتالهم مستدلين بقول تعالى : ﴿ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ﴾ (البقرة: ١٩١).

كما أشار العاهل السعودى إلى بيان هيئة كبار العلماء الـــذى صـــدر عن دورة مجلسهم الخامسة عشرة والذى اســـتنكروا فيـــه هـــذه الجريمـــة الخطيرة، وهذا العدوان الآثم، ورأى المجلس فى أن هذه الفئة فئـــة ضـــالة آثمة باعتدائها على حرم الله وسفكها فيه الدم الحرام، وقيامها بمـــا يســـبب فرقة المسلمين وشق عصاهم.

وذكر الملك خالد أن هذا البيان من هيئة كبار العلماء لواقع هـــؤلاء المجرمين يحتم علينا معاقبتهم عقوبة تزجر عن الفساد، ونرضى بها ربنـــا سبحانه، ولأننا تلقينا الفتاوى التى تبين جزاء هؤلاء المجرمين منها ما هـــو مشافهة من عدد من العلماء"، ومنها ما هو محرر من عدد آخر من كبـــار العلماء وفيها قولهم:

نص فتوى العلماء بقتل المجرمين

﴿ نفيدكم سلمكم الله أن هؤلاء لهم حكم المحاربين الذين قال الله فيهم: إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِـــكَ لَهُـــمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ " ﴾ (المائدة: ٣٣) قـــال ابـــن العباس (ﷺ) فى هذه الآية من شهر السلاح فى فئة الإسلام وأخاف السبيل

ثم ظفر به وقدر عليه فأمام المسلمين فيه بالخيار . إن شاء قتلـــه وإن شـــاء صلبه وإن شاء قطع يده ورجله. وقال ابن عباس أيضا، ما كان فى القرآن، بأو فصاحبه بالخيار، وإلى هذه ذهب الإمام مالك بن أنس وهو قول ســـعيد بن المسيب ومجاهد وعطاء والحسن البصرى وإبراهيم النخعى والضــحاك وعمر بن العزيز، واختاره الإمام القرطبى، وقال شيخ الإسلام ابن تيميـــة – رحمه الله – فمن كان من المحاربين قد قتل فإنه يقتله الامـــام حـــدا ولا يجوز العفو عنه بحال، وبإجماع العلماء. وفى الفتوى قول شـــيخ الإســـلام أيضا فى المحاربين والجمهور على أن الجميع يقتلون ولو كانوا مائة. وأن الرد والمباشر سواء قال وهذا هو المأثور عن الخلفاء الراشدين، فإن عمر ابن الخطاب قتل ربيئة المحاربين. وهو الناظر الذى يجلس على مكان عال ينظر منه لهم من يجيء ولأن المباشر إنما تمكن مـــن قتلـــه بقـــوة الـــرد ومعونته، وقال العلماء فى فتواهم وما دام أن الجميع اعترفـــوا بجـــريمتهم بالقتل والفساد فى حرم الله فيجوز للإمام قتلهم.

وعلى هذا فاعتمدوا قتل الأشخاص الموضـــحة أســـماؤهم بالبيـــان المرفق. إرضاء لله سبحانه وغضبا لحرمة بيته الحرام وحرمة عباده الذين يعبدونه حول البيت. وشفاء لغيظ المسلمين وهؤلاء هم الذين صدرت منهم الإقرارات المسجلة فى سجلات محكمة مكة المكرمة لدى عدد من القضاة، أما الذين لم يكن جرمهم كجرم هؤلاء فلم يسفكوا الدم الحرام عنـــد البيـــت الحرام ولم يكونوا من رؤوس الفتنة ومثيريها، وإنما كان لهم مشاركة فـــى مساعدة هؤلاء المجرمين بتمويلهم وتوزيع الذخيرة والأســـلحة علـــيهم، أو

حراسة الأبواب لهم هؤلاء لن يكون جزاؤهم القتل وإنما سيكون جـزاؤهم السجن وسنبلغكم بتحديد مدة سجن كل واحد منهم فى وقت لاحق بعد تقرير العقوبة اللازمة على كل واحد حسب جرمه إن شاء الله. أما النساء اللاتـى شاركن فى مساعدة هذه الفئة الفاسدة بالخدمة وتقـديم المـاء والطعـام أو توزيع الأسلحة والذخيرة فتسجن كل واحدة منهمن سنتين مع العناية بهـن فى التربية الدينية وإصلاحهن. وأما الصبيان الذين شاركوا فى الجريمة ولم يبلغوا الحلم فيدخلون فى دار الرعاية لاستصلاحهم وتعليمهم حتى يكونـوا أعضاء صالحين فى مجتمعنا الإسلامى فلاعتماد ذلك والسلام عليكم.

هذا ما كان من شأن البيان والفتوى. ولا يسـع عـالم مـن علمـاء الشريعة الفقهاء فى مقاصدها وأحكامها وأقضيتها إلا أن يتفق مع أصـحاب الفضيلة العلماء الذين أصدروا هذه الفتوى فهم مصيبون فى فتاويهم الأولى والثانية مستندين فيهما إلى النصوص الشرعية القطعية. وإلى آراء العلماء والفقهاء من سلف الأمة المجتهدين.

ولا جرم فإن المعتدين قد ارتكبوا أشنع جريمة وهى التى قد أطلقنـا عليها وصف "جريمة العصر"، وفضلا عن ذلك فإنه من توحش قلوبهم قـد قتلوا امرأتين داخل الحرم الأمين بطريقة واحدة، هى الرمـى بالرصـاص على "العنق" فما أشنع ما فعلوا وصَدَق الله العظيم القائـل : ﴿ وَلَكُمْ فِـى القِصَاص ﴾ ولولا تنفيذ حكم الله المنصف فى هؤلاء لكـانوا قـدوة سـيئة لغيرهم. فتنتهك حرمات وتسال دماء، ويروع آمنون. ويكثر فـى الأرض الفساد.

وقد أصاب الشاعر إذ يقول :

والشر إن تلقه بالخير ضقت به

ذرعا.. وإن تلقه بالشر ينحسم.. ؟

المعدمون .. جنسياتهم ومواضع إعدامهم

تم حكم الإعدام إذن قصاصا شرعيا، فلكل امرئ ما اكتسب من الإثم. وقد تم حكم الإعدام على المجرمين في يوم واحد وفي عدة مدن من المملكة العربية السعودية. كل مدينة تم فيها إعدام فريق منهم. وفيما يلي اسم كل مدينة، وأسماء من أعدموا فيها وجنسياتهم :

مكة المكرمة :

١- جهيمان بن محمد بن سيف - سعودى.

٢- أحمد بن مرزوق بن بنيان اللهيبى - سعودى.

٣- يوسف بن عبد الله عبد القادر باجنيد - سعودى.

٤- عصام بن محمد عبد الوهاب شيخ - سعودى.

٥- على بن أحمد شيخ الجعفان - يمنى جنوبى.

٦- على بن صالح الجهضمى - يمنى جنوبى.

٧- أحمد بن عبد الله بن منصور الزامل - سعودى.

٨- عباس بن جار الله سلطان - سعودى.

٩- عبد الله عبد اللطيف أحمد رضوان - مصرى.

١٠- مبارك بن هزاع مفلح الجدعان - كويتى.

١١- سعيد بن عبد الله سعيد التركــى (المتســمى بالقحطــانى) - سعودى.
١٢- عقاب بن عفاس المحيا - سعودى.
١٣- فارس بن عادى طلق التوم - سعودى.
١٤- سالم الفاتح مصطفى الحاج على - سودانى.
١٥- فهد دابس بانى السعدون - عراقى.

الرياض :

١- عيد بن سالم إسماعيل إبراهيم الشابحى - سعودى.
٢- ردن بن غازى حميدان - سعودى.
٣- عبد الله بن جار الله سلطان - سعودى.
٤- سمير عبد المجيد فؤاد محمود رفعت - مصرى.
٥- فيصل محمد فيصل - سعودى.
٦- خالد بن محمد عبد الله الزامل - سعودى.
٧- مساعد بن سعود محمد المسلم - كويتى.
٨- على بن مرعى محمد - سعودى.
٩- محمد عمر ياس - مصرى.
١٠- عبد الله بن محمد أحمد إسماعيل - سعودى.

المدينة المنورة :

١- عبد الله على أحمد باحليم - يمنى جنوبى.
٢- فهد بن هلال سويلم - سعودى.
٣- عبد الله بن محمد إبراهيم الرميح - سعودى.
٤- عبد العزيز بن محمد سليمان الحصان - سعودى.

٥- كمال أحمد حسن - مصرى.

٦- عبد الله بن إسماعيل العسيمى - سعودى.

٧- أحمد حجاج محمود أحمد - مصرى.

الدمام :

١- صلاح عبد الفتاح موسى الرخ - مصرى.

٢- حسن محمد سالم محسن بجنف - يمنى جنوبى.

٣- أحمد بن حسن العقدى - سعودى.

٤- محمد بن عبد الرحمن العبيدلى - كويتى.

٥- تركى بن صالح صليح - سعودى.

٦- عويض بن حبيب عيبان - سعودى.

٧- على محمد قاسم عبد الله - يمنى شمالى.

بريدة :

١- جابر بن أحمد حسن - سعودى.

٢- على بن محمد بن عبد الله شعيب - سعودى.

٣- حامد أحمد إبراهيم يونس - مصرى.

٤- سعيد بن عطية الله الصبحى - سعودى.

٥- يسلم صالح ناصر باقطعى - يمنى جنوبى.

٦- صالح بن محمد صالح - سعودى.

حائل :

١- إبراهيم باشا بن مطر الصبحى - سعودى.

٢- محمد بن معيض السدر - صالح الحمادى - سعودى.

٣- محمد أبو خيشة بن عبد الله - سعودى.

٤- حسن إبراهيم بيومي - مصري.

أبها :

١- عبد المحسن بن علي الحضيني - سعودي.

٢- سلطان بن حمد إبراهيم الصهرس - سعودي.

٣- عواض بن مشل عواض أبو الكحل - سعودي.

٤- عتيق بن محمد عطا الله - سعودي.

٥- مرزوق بن بتاع مرزوق البشري - سعودي.

٦- أحمد محمود علي حسين - مصري.

٧- محمد بن سميح حمد الصحفي - سعودي.

تبوك :

١- علي بن أحمد بن علي - سعودي.

٢- محمد حسن محمد صادق - مصري.

٣- أحمد سنان محمد - يمني جنوبي.

٤- محمد بن عبد الله بن محمد الرايفي - سعودي.

٥- عبد الله بن مريخان فهيد صيفي - سعودي.

ووزير الداخلية إذ يعلن هذا النبأ ليضرع إلى الله العلي القدير أن يحفظ لهذه البلاد أمنها واستقرارها ويرد كيد كل من تسول له نفسه تعكير صفو هذا الأمن والاستقرار إلى نحره، والله الهادي إلى سواء السبيل.

هذا ومن حق الذين استشهدوا من قوات التطهير من ضباط. وصف ضباط، وجنود. ومن حق الذين قد أصيبوا منهم باختلاف رتبهم أن نذكر أسماءهم هنا كمظهر من مظاهر التكريم الذي ينبغي أن يحظى به كل

مناضل شريف أسهم فى استخلاص بيت الله العتيق من عبــث العــابثين. وجزاؤهم الأكبر عند الله . فهو القائل فى شأن المجاهدين.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلا إِلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (التوبة: ١٢٠)

وفيما يلى ثبت أولئك : المجاهدين

أسماء العسكريين المصابين من الضباط

الاسم	الرتبة
١- فهد عبد الرحمن العيد	رائد
٢- عويد مرزوق المطيرى	ملازم
٣- محمد على الشمرانى	ملازم
٤- سالم عبد اللهِ الزهرانى	ملازم
٥- غازى ذعار بخيت العتيبى	نقيب
٦- إبراهيم بريك الفرج دهومى	مقدم
٧- سالم عبد الله مبروك الزهرانى	ملازم
٨- خليوى يعقوب الخليوى	عقيد
٩- على عبد المطلوب العنزى	ملازم
١٠- سليمان رهيد الحربى	ملازم
١١- سعيد حسن القحطانى	ملازم
١٢- عبد الله مناور الحربى	مقدم

الاسم	الرتبة
١٣- عبد المطلوب محمد	مقدم
١٤- عدنان على العوفى	مقيب
١٥- سيف سعد القحطانى	ملازم
١٦- عدنان محمد حمزة	نقيب
١٧- عارف حامد عريفان	ملازم
١٨- على فبلان المزينى	ملازم أول
١٩- سلطان ذويبى العتيبى	نقيب
٢٠- سامى أحمد خيارى	ملازم
٢١- حمدان موسى الأحمدى	نقيب
٢٢- سعد إبراهيم الخياط	نق٧يب
٢٣- محمد حامد البحيرى	عقيد
٢٤- داود سليمان الحوشان	عقيد
٢٥- عوض رشيد بلوى	مقدم
٢٦- زيد سلامة الجوفى	ملازم
٢٧- محمد حسن الفراج	نقيب
٢٨- سعيد عبد الله الأسمرى	ملازم
٢٩- عبد الله محمد الخليفة	ملازم
٣٠- صالح عبد الله درعان الشهرى	ملازم
٣١- سعيد على مدعان	ملازم
٣٢- عدنان عمر عون	ملازم
٣٣- سلطان عايض سعيد الشهرانى	ملازم

الاسم	الرتبة
٣٤- حمود عجيب عبد الله الجوفى	نقيب
٣٥- محمد عبد الله مسفر عسيرى	نقييب
٣٦- صالح على العبيدان	ملازم أول
٣٧- عبد الله عبد الرحمن المغربى	ملازم أول
٣٨- عبد العزيز عبد الله الفيضى	ملازم أول
٣٩- سعد عثمان الشهرانى	ملازم أول
٤٠- غازى عبد الوهاب شبيلى	ملازم أول
٤١- حسن شبيلى حسن الشهرى	عقيد
٤٢- سليمان عبد الرحمن العريفى	ملازم أول
٤٣- عايض مناور العتيبى	ملازم أول
٤٤- سلم سالم البراك	ملازم أول
٤٥- عوض مطلق القحطانى	ملازم
٤٦- مزيد غازى النفيعى	ملازم
٤٧- نايف فيحان المطيرى	ملازم
٤٨- سعود سالم الحميد	ملازم
٤٩- عبد السمية سراج فاضى	ملازم أول

أسماء العسكريين المصابين من ضباط صف وجنود

الاسم	الرتبة
١- عبد الله أحمد الزهرانى	و. رقيب
٢- على سليمان الفيفى	و. رقيب
٣- عبد الله على العمرى	عريف
٤- محمد يحيى فيفى	عريف
٥- محمد محمد صوملى	عريف
٦- سعيد على الأحمرى	عريف
٧- فرحان أحمد المالكى	عريف
٨- عبده على بلال الجيزانى	عريف
٩- السبيل نافع الحربى	و. رقيب
١٠- محمد عبد الله جابر الشهرى	عريف
١١- على أحمد عبد الله حمدى	و. رقيب
١٢- أحمد محمد أبو شرين	عريف
١٣- مسعود ظافر الشهرانى	عريف
١٤- سعيد على محمد الشهرانى	عريف
١٥- خضران محمد الزهرانى	و. رقيب
١٦- على إبراهيم عسيرى	عريف
١٧- يحيى محمد على عسيرى	عريف
١٨- عايض حسن محمد القحطانى	عريف

الاسم	الرتبة
١٩- محمد حسن الشهرى	عريف
٢٠- على جازم الشهرانى	عرف
٢١- جابر أحمد عسيرى	عريف
٢٢- عبد الله عبد القادر عسيرى	و. رقيب
٢٣- خلف عبيد العوفى	رقيب
٢٤- محمد أبو طالب على علوى	و. رقيب
٢٥- جبر مبروك العتيبى	رئيس رقباء
٢٦- ظافر حسن الشهرانى	رقيب أول
٢٧- عواض بريكان العدوانى	رقيب أول
٢٨- سعد عبد الله القرنى	رئيس رقباء
٢٩- محمد سلطان العتيبى	عريف
٣٠- محمد على عسيرى	و. رقيب
٣١- فاضل صالح الزهرانى	و. رقيب
٣٢- على حسن جيزانى	رئيس رقباء
٣٣-جهزنايح العتيبى	رئيس رقباء
٣٤- سعيد على عسيرى	رقيب
٣٥- عويض عتيق الجعيد	رقيب أول
٣٦- مازن سعيل العتيبى	رقيب
٣٧- محمد عوض إكليس	جندى أول
٣٨- جابر محمد حريصة	جندى
٣٩- على على حدادى	جندى

الاسم	الرتبة
٤٠- سيف حسن المالكى	جندى
٤١- جمعان أحمد حريصى	جندى
٤٢- سعيد سالم الشهرى	جندى
٤٣- محمد إبراهيم عسيرى	جندى
٤٥- عبد الله حسن سلامى	جندى
٤٦- غانم على حقوى	جندى
٤٧- حسين على مجهلى	جندى
٤٨- حسين حسن فيفى	جندى
٤٩- عائض على الشهرى	جندى
٥٠- محمد أحمد صهلولى	جندى أول
٥١- عامو أحمد الشهرى	جندى
٥٢- محمد على العمرى	جندى
٥٣- معدى على الشهرى	جندى
٥٤- جابر محمد نهارى	جندى
٥٥- جبران حسين جبران فيفى	جندى أول
٥٦- يوسف يحيى حسن حمدى	جندى أول
٥٧- حسن يحيى الصامطى	جندى أول
٥٨- على موسى عسيرى	جندى
٥٩- سالم جابر حسن المالكى	جندى
٦٠- مسفر سعيد القحطانى	جندى أول
٦١- يحيى أحمد عبد الله الجيزانى	جندى

الاسم	الرتبة
٦٢- عبد الله على عواض الحمدى	جندى
٦٣- أحمد حسين جابر ظامرى	جندى
٦٤- أحمد محمد حمدى	جندى أول
٦٥- على أحمد الأسمرى	جندى أول
٦٦- على عضوان عسيرى	جندى
٦٧- أحمد محمد على حشودى	جندى أول
٦٨- إبراهيم عبد الله الحفوى	جندى
٦٩- معتوق سعد القرشى	جندى أول
٧٠- الحسن على محمد عسيرى	جندى أول
٧١- محمد هادى إبراهيم عسيرى	جندى أول
٧٢- محمد على عسيرى	جندى أول
٧٣- هيازع محمد البارقى	جندى أول
٧٤- سلمان رافع بكرى	جندى
٧٥- مرعى حسن الشهرى	عريف
٧٦- سويلم سلامة سليمان الحويطى	عريف
٧٧- فرحان شليويح ناصر الحربى	رقيب أول
٧٨- ضاوى العقيل البقمى	و. رقيب
٧٩- أحمد عواد مبارك البلوى	رقيب
٨٠- مرزوق عواض على المطيرى	عريف
٨١- محمد عبد الله الأسمرى	و. رقيب
٨٢- محمد فايز الدوسرى	و. رقيب

الاسم	الرتبة
٨٣- عبد الله عبده ضيف الله الحمدى	عريف
٨٤- محمد حسن عبد الله عسيرى	عريف
٨٥- على كدموسى عامر عسيرى	جندى أول
٨٦- على حسين على الشمرانى	عريف
٨٧- عوضه محمد عوضه الأحمرى	عريف
٨٨- حسن محمد مفرح عسيرى	رقيب
٨٩- عطية محمد أحمد الجعفرى	عريف
٩٠- مرعى حسن الشهرى	عريف
٩١- مسعود حسن الجيزانى	و. رقيب
٩٢- عامر أحمد العبدلى	جندى أول
٩٣- أحمد خلف الشهرى	رقيب
٩٤- على جابر الأسمرى	جندى أول
٩٥- عبد الله يحيى القيسى	جندى أول
٩٦- على محمد على عسيرى	عريف
٩٧- أحمد حسين الزهرانى	عريف
٩٨- عواد سليم بلوى	جندى
٩٩- مشعتر حسين ضمدى	جندى
١٠٠- سلامة قاسم الحويطى	جندى
١٠١- سعد محمد الشهرى	جندى أول
١٠٢- مهدى يحيى الجيزانى	عريف
١٠٣- على محمد هزاع	جندى

الاسم	الرتبة
١٠٤- على محمد شراف عسيرى	جندى
١٠٥- أحمد عبد الله عسيرى	عريف
١٠٦- حامد عالى الغامدى	جندى
١٠٧- محمد مزيد مباركى	عريف
١٠٨- قاسم محمد حقوى	جندى
١٠٩- محمد محمد عامر عسيرى	جندى
١١٠- على عبد الرحمن الشهرانى	عريف
١١١- عرم عرم الله الحارثى	عريف
١١٢- عطية جبران الراجحى	رقيب
١١٣- حسين عبد الله الجيزانى	عريف
١١٤- محسن على يحيى غربى	جندى
١١٥- على أحمد الحارثى	جندى
١١٦- محمد جبران كعبى	جندى
١١٧- على أحمد محمد الكعبى	جندى
١١٨- عبد الله محمد عسيرى	جندى
١١٩- محمد مفرح العسيرى	عريف
١٢٠- عبد الله محمد عسيرى	عريف
١٢١- على محمد زهرانى	جندى
١٢٢- إبراهيم عبد الله شقيقى	جندى
١٢٣- أحمد عبده خرولى	جندى
١٢٤- على حسين عسيرى	جندى

الاسم	الرتبة
١٢٥- محمد خلف الغامدى	جندى
١٢٦- بهلول على جيزانى	عريف
١٢٧- حمود محمد الزهرانى	جندى
١٢٨- محمد معوضه جيزانى	جندى
١٢٩- يحيى على جابر مشيخى	جندى
١٣٠- سليمان حماد الحويطى	جندى
١٣١- إبراهيم أحمد عسيرى	عريف
١٣٢- محمد إبراهيم عسيرى	عريف
١٣٣- مفرح على عسيرى	عريف
١٣٤- أحمد على شراف عسيرى	عريف
١٣٥- جابر حسن صهلولى	جندى
١٣٦- أحمد حسين عسيرى	جندى
١٣٧- سلمان مجرشى	جندى
١٣٨- عوض مضحى الشهرى	جندى
١٣٩- بخيت عبد الله المولد	عريف
١٤٠- أحمد إبراهيم عسيرى	عريف
١٤١- إبراهيم محمد البارقى	عريف
١٤٢- الحسن محمد عسيرى	عريف
١٤٣- حيدر هادى جيزانى	جندى
١٤٤- موسى محمد عسيرى	جندى
١٤٥- شيبان أحمد عدلى	جندى

الاسم	الرتبة
١٤٦- محمد جابر عسيرى	جندى
١٤٧- حمزة على زبيدى	جندى
١٤٨- محمد يحيى الأحمرى	رقيب
١٤٩- محمد يحيى عسيرى	جندى
١٥٠- جابر على عسيرى	جندى
١٥١- جابر على عسيرى	عريف
١٥٢- أحمد إبراهيم عسيرى	عريف
١٥٣- على معيض عسيرى	جندى
١٥٤- أحمد حسين جراح	جندى
١٥٥- أحمد عبد الله محمد حدادى	جندى
١٥٦- عامر على عمر عسيرى	جندى
١٥٧- يحيى جبران جيزانى	جندى
١٥٨- يحيى حسن ناصر عواض	عريف
١٥٩- هليل عويض العتيبى	عريف
١٦٠- إبراهيم على عايض عسيرى	عريف
١٦١- محمد أحمد حسين عسيرى	عريف
١٦٢- يحيى مصبر الدربى	جندى
١٦٣- مفرح محمد عسيرى	جندى
١٦٤- محمد أحمد محمد حكمى	جندى
١٦٥- عبد الله مفرح عسيرى	جندى
١٦٧- حسن موسى مسعود معشى	جندى

الاسم	الرتبة
١٦٨- سليمان محمد عسيرى	عريف
١٦٩- أحمد ناصر الزبيدى	عريف
١٧٠- على مشيب الشهرانى	عريف
١٧١- محمد حسن محمد	جندى
١٧٢- محمد حسن على عسيرى	عريف
١٧٣- حمود على الشهرانى عسيرى	عريف
١٧٤- محمد حسن السبل	جندى
١٧٥- محمد مسعود محمد الزهرانى	جندى
١٧٦- أحمد حسن رقوانى	جندى
١٧٧- على محمد مشتعتر عسيرى	عريف
١٧٨- محمد محمد عبد الله عسيرى	عريف
١٧٩- مرزوق مبروك برهان اليامى	رقيب
١٨٠- يحيى على محمد قدوى	عريف
١٨١- محمد على مربع عسيرى	عريف
١٨٢- محمد حسن مناع العنزى	عريف
١٨٣- إبراهيم مشهور حمدى	عريف
١٨٤- عيد حمدى سليم العنزى	جندى أول
١٨٥- محمد عبد الرحمن حسن يارقى	جندى أول
١٨٦- حسن حمود منصور دغاس	و. رقيب
١٨٧- فيحان منيع الله العتيبى	و. رقيب
١٨٨- سعد شعبان القرنى	جندى

الاسم	الرتبة
١٨٩- عبده مهدى ضمدى	عريف
١٩٠- إبراهيم على الشهرى	و. رقيب
١٩١- محمد هادى عسيرى	جندى
١٩٢- على غيث المالكى	جندى أول
١٩٣- إبراهيم على عسيرى	عريف
١٩٤- سعيد صالح الغامدى	و. رقيب
١٩٥- هادى عيسى الجيزانى	جندى أول
١٩٦- أحمد على سامر الكعبى	جندى أول
١٩٧- صالح عويضة العيسى	جندى
١٩٨- على أحمد عسيرى	عريف
١٩٩- عبده أحمد جيزانى	جندى
٢٠٠- حمود راضى المطيرى	جندى أول
٢٠١- سنيد نعيمان المطِيرى	و. رقيب
٢٠٢- صالح سليمان الحويطى	و. رقيب
٢٠٣- مساعد عقيل الغامدى	جندى أول
٢٠٤- عوض مشبب الأحمرى	جندى أول
٢٠٥- رشيد منور الجهنى	عريف
٢٠٦- أحمد محمد طوهرى	جندى اول
٢٠٧- ناصر يحيى القحطانى	عريف
٢٠٨- محمد محمد جيزانى	جندى
٢٠٩- عودة محمد عطوى	عريف

الاسم	الرتبة
٢١٠- يحيى إبراهيم زبيدى	عريف
٢١١- على عبد الله جيزانى	عريف
٢١٢- محمد مفلح الشهرانى	عريف
٢١٣- محمد مطر الزهرانى	عريف
٢١٤- حاجر محمد الحارثى	عريف
٢١٥- موسى عامر عسيرى	عريف
٢١٦- حمصى مريع الجيزانى	جندى أول
٢١٧- هادى محمد فيفى	جندى
٢١٨- عوض على الحربى	جندى
٢١٩- على محمد عسيرى	و. رقيب
٢٢٠- إبراهيم أحمد جراح	جندى أول
٢٢١- على سالم عسيرى	جندى
٢٢٢- إبراهيم عبد الله عطوى	جندى
٢٢٣- على محمد القرنى	عريف
٢٢٤- محمد عبد الله البلوى	عريف
٢٢٥- جابر محمد هزازى	عريف
٢٢٦- سليم سالم الحويطى	عريف
٢٢٧- مفرح سليم سالم الحويطى	جندى أول
٢٢٨- شوعى عثمان الجيزانى	عريف
٢٢٩- محمد على حقوى	جندى
٢٣٠- محمد أحمد منجى	عريف

الاسم	الرتبة
٢٣١- على حسن الشاجرى	جندى
٢٣٢- على أحمد مفرح عسيرى	جندى أول
٢٣٣- أحمد محمد الشمرانى	و. رقيب
٢٣٤- حسن أحمد عسيرى	جندى
٢٣٥- سليمان أحمد سليمان فيفى	جندى
٢٣٦- محمد أحمد الغامدى	جندى
٢٣٧- لافى عشوان العنزى	رقيب
٣٣٨- إبراهيم على حسين الكعبى	جندى
٢٣٩- وبران ناصر محمد القحطانى	رقيب
٢٤٠- مبارك عبد الله العنزى	و. رقيب
٢٤١- سالم مسلم سالم القحطانى	عريف
٢٤٢- عبد الله محمد فهد السبيعى	جندى أول
٢٤٣- مفلح قبلان منصور الشمرى	جندى أول
٢٤٤- عناد محمد العتيبى	جندى
٢٤٥- عناد ماشع منيف العتيبى	جندى
٢٤٦- فلاح محمد القحطانى	عريف
٢٤٧- عيد سافر المطيرى	جندى
٢٤٨- سفر مبارك الحارثى	جندى
٢٤٩- سنان عامر القحطانى	جندى
٢٥٠- هايف مطلق العتيبى	جندى
٢٥١- كميخ بن كميخ العتيبى	عريف

الاسم	الرتبة
٢٥٢- فلاح عيد العتيبى	جندى
٢٥٣- ضيف الله محمد الحربى	عريف
٢٥٤- محسن عبد الرحمن	عريف
٢٥٥- مسعود ساير الحربى	عريف
٢٥٦- متعب عطا لله العتيبى	عريف
٢٥٧- ناهس عبد الله المطيرى	جندى
٢٥٨- محمد مفرح العتيبى	و. رقيب
٢٥٩- سعد عبد الهادى الحربى	و. رقيب
٢٦٠- مبروك نافع الرشيدى	و. رقيب
٢٦١- مفضى دخين العنزى	عريف
٢٦٢- عايش مسلم البقمى	عريف
٢٦٣- غريب حبيب الشمرانى	عريف
٢٦٤- كردي متعب الشمرى	رقيب أول
٢٦٥- سعود حمد العتيبى	و. رقيب
٢٦٦- قاعد مقعد العتيبى	عريف
٢٦٧- مناحى القحطانى	عريف
٢٦٨- عشق دليم الحربى	عريف
٢٦٩- سعيد بادى القحطانى	عريف
٢٧٠- نايف مضحى الحربى	رقيب
٢٧١- منصور فيحان القحطانى	و. رقيب
٢٧٢- مبارك عاطف القحطانى	عريف

الاسم	الرتبة
٢٧٣- عايد شبيب العتيبى	عريف
٢٧٤- عيد مسفر العتيبى	عريف
٢٧٥- ملهى سمير الحربى	عريف
٢٧٦- فهيد فيصل العتيبى	عريف
٢٧٧- مثيب صالح القحطانى	و. رقيب
٢٧٨- محمد مسعود العتيبى	و. رقيب
٢٧٩- ناصر حمدى الحربى	رقيب أول
٢٨٠- عبد الله محمد الغامدى	رقيب
٢٨١- مقبل غازى العتيبى	و. رقيب
٢٨٢- مسفر عبد الهادى العتيبى	و. رقيب
٢٨٣- فالح سعود العتيبى	عريف
٢٨٤- عايض سليم العتيبى	عريف
٢٨٥- غازى بدر العتيبى	عريف
٢٨٦- خليف خليفة المطيرى	عريف
٢٨٧- خليف نمر العنزى	عريف
٢٨٨- ناصر مناور العتيبى	عريف
٢٨٩- مطلق زيد المطيرى	عريف
٢٩٠- عويضة سليم المطيرى	عريف
٢٩١- عون عيد العتيبى	عريف
٢٩٢- عجاب مذكر العتيبى	عريف
٢٩٣- عواض دخيل الله العتيبى	جندى

الاسم	الرتبة
٢٩٤- هيف عبد الله القحطانى	جندى
٢٩٥- على ناجى الحربى	جندى
٢٩٦- عثمان عبد الله الجوهر	جندى
٢٩٧- عبد الله مسلم الحربى	جندى
٢٩٨- فهد ذياب المطيرى	جندى
٢٩٩- محمد عبد الرحمن العنزى	جندى
٣٠٠- محمد على السهلى	جندى
٣٠١- سالم فليح الشرارى	جندى
٣٠٢- بدر علوش القحطانى	جندى
٣٠٣- عبد الله عليان الحربى	جندى
٣٠٤- مرزوق عواض الحربى	جندى
٣٠٥- سويد ناصر القحطانى	جندى
٣٠٦- على محمد العلاج	جندى
٣٠٧- على محمد سعيد القحطانى	جندى
٣٠٨- مهدى محمد القحطانى	جندى
٣٠٩- فهد محمد القحطانى	جندى
٣١٠- مقبل محمد القحطانى	جندى
٣١١- سلمى على العتيبى	جندى
٣١٢- فراج فلاح القحطانى	جندى
٣١٣- خضيران محمد القحطانى	جندى
٣١٤- نادر عجاب القحطانى	جندى

الاسم	الرتبة
٣١٥- ملفى مسعود المطيرى	جندى
٣١٦- محمد عايض القحطانى	جندى
٣١٧- حزام ذيب القحطانى	جندى
٣١٨- ماطر مناحى العتيبى	جندى
٣١٩- حسين صالح الحربى	جندى
٣٢٠- محمد مسفر القحطانى	جندى
٣٢١- هيف معجل القحطانى	جندى
٣٢٢- بدر عيد العتيبى	جندى
٣٢٣- محمد سالم القحطانى	جندى
٣٢٤- محمد حمد القحطانى	جندى
٣٢٥- هاجد هليل المطيرى	جندى
٣٢٦- مطير عوض العتيبى	جندى
٣٢٧- قطيم هادى العتيبى	جندى
٣٢٨- عطا الله سمران العتيبى	جندى
٣٢٩- معلا علوان العتيبى	جندى
٣٣٠- مطلق قطعان العتيبى	جندى
٣٣١- حجى حماد العنزى	جندى
٣٣٢- محمد شاجع الحربى	جندى
٣٣٣- مرزوق هاجر العتيبى	جندى
٣٣٤- محمد عايض القحطانى	جندى
٣٣٥- فهاد مبارك العجمى	جندى

الاسم	الرتبة
٣٣٦- مخلد خلف المطيرى	جندى
٣٣٧- غازى ضاوى العتيبى	جندى
٣٣٨- مليح سعد العتيبى	جندى
٣٣٩- سعو غازى الحربى	جندى
٣٤٠- عبد الله مسعود المطيرى	جندى
٣٤١- تركى عواض العتيبى	جندى
٣٤٢- عبد الله عائد العتيبى	جندى
٣٤٣- حسين حمد سليم العتيبى	جندى
٣٤٤- على يحيى عسيرى	رقيب أول
٣٤٥- مسعود سعيد المطيرى	و. رقيب
٣٤٦- مساعد صقر العتيبى	عريف
٣٤٧- فالح سعيد الشهرانى	عريف
٣٤٨- قبلان عبد الكريم العتيبى	عريف
٣٤٩- مشبب محمد العتيبى	عريف
٣٥٠- عمار سعدى المطيرى	عريف
٣٥١- مشعى شافى السبيعى	عريف
٣٥٢- منور معلث المطيرى	عريف
٣٥٣- يحيى سعيد الأحمرى	عريف
٣٥٤- مرزوق عبيد العتيبى	عريف
٣٥٥- عباد عويد المطيرى	عريف
٣٥٦- عبيد الله عبد الله العتيبى	عريف

الاسم	الرتبة
٣٥٧- شويع مفرح القحطانى	عريف
٣٥٨- سعد عيد البقمى	عريف
٣٥٩- أحمد عبد الله الأسمرى	عريف
٣٦٠- فهد معيض البقمى	عريف
٣٦١- على سالم المطيرى	عريف
٣٦٢- خلف مقعد السبيعى	عريف
٣٦٣- مفرح عبد الله السبيعى	عريف
٣٦٤- مطلق عبيد العتيبى	جندى
٣٦٥- سويعد معاضة المطيرى	جندى
٣٦٦- سنيد عيد المطيرى	جندى
٣٦٧- سعيدان سعد العتيبى	جندى
٣٦٨- ناصر سمران العتيبى	جندى
٣٦٩- سلطان محمد السبيعى	جندى
٣٧٠- ثواب مطر المطيرى	جندى
٣٧١- يحيى محمد عسيرى	رئيس رقباء
٣٧٢- سعد سعيد الأحمرى	رقيب
٣٧٣- عايض عويمر القرشى	عريف
٣٧٤- صالح سليم الزهرانى	جندى أول
٣٧٥- زهبل لاحق الحارثى	جندى أول
٣٧٦- على محمد الحقريتى	جندى
٣٧٧- على أحمد الحامدى	جندى أول

الاسم	الرتبة
٣٧٨- عبد الله مصلح المطيرى	عريف
٣٧٩- سعد سعود المالكى	عريف
٣٨٠- أحمد يحيى عسيرى	رقيب
٣٨١- بطاش أحمد عسيرى	عريف
٣٨٢- عبد الرحمن عبد الله الشهرى	عريف
٣٨٣- عواض ضيف الله البيشى	عريف
٣٨٤- على حسن عسيرى	جندى أول
٣٨٥- عبيد محمد القاسمى	جندى أول
٣٨٦- حسين أحمد الزهرانى	جندى أول
٣٨٧- محمد عبد الله القحطانى	جندى أول
٣٨٨- صالح محمد عسيرى	جندى أول
٣٨٩- عبد الرحيم عايش المالكى	جندى أول
٣٩٠- إبراهيم أحمد جيزان	جندى أول
٣٩١- جمعان مطر الزهرانى	جندى أول
٣٩٢- فليل عبده الشهرى	جندى أول
٣٩٣- صالح سالم الزهرانى	جندى أول
٣٩٤- حرفان موسى القرنى	جندى
٣٩٥- محمد أحمد دباس حمدى	جندى
٣٩٦- محمد على الجيزانى	جندى
٣٩٧- حسن عبد الله الشمرانى	جندى
٣٩٨- يحيى أحمد زهرانى	جندى

الاسم	الرتبة
٣٩٩- مرزوق حميد البارقى	جندى
٤٠٠- عيد سعد البيشى	جندى
٤٠١- حصر صالح الزهرانى	جندى
٤٠٢- أحمد صالح الزهرانى	جندى
٤٠٣- حسن عبده الأسمرى	جندى
٤٠٤- خفير دلفان الشهرى	جندى
٤٠٥- حويتان عمر الحارثى	جندى
٤٠٦- عبد الله جابر الدعبى	جندى
٤٠٧- سهل سعد العتيبى	جندى
٤٠٨- طارق معتوق الرافعى	جندى
٤٠٩- فهد الحربى	جندى
٤١٠- على عبد الرحمن الشهرى	جندى
٤١١- يحيى شرف الحلوانى	عريف
٤١٢- حسن حمودة	جندى أول

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

رقم الإيداع : ١٧١٩١ / ٢٠٠٣